الموضوع الأول

إرادة التغيير

د. زكي نجيب محمود*

الأهداف:
في نهاية هذا الموضوع ينبغي أن يكون الطالب قادرًا على أن:
- يفهم الدلالات غير المباشرة التي يوحي بها النص المسموع.
- يحدد الانتماء الفكري للمتحدث.
- يحكم على الأدلة المتضمنة في النص المسموع.
- يوظف الأمثلة والشواهد والأدلة في حديثه.
- يستخدم أدوات الربط.
- يستخدم صورا بيانية في حديثه.
- يناظر زملاءه حول قضية اجتماعية أو أدبية.
- يقرأ عبر الوسائط التكنولوجية المتعددة.
- يحدد الفكر الزائدة والناقصة في النص.
- يبدي رأيه فيما يقرأ من نصوص معللا.
- يقترح أكبر عدد ممكن من العناوين لنص قرأه.
- يطرح أسئلة إبداعية حول النص.
- يثري المقروء بفكر ابتكارية.
- يلخص مقالا قرأه.
- يكتب مقالات في موضوعات متنوعة.
- ينقد موضوعا من حيث الفكرة أو الأسلوب.
- يستخدم القواعد اللغوية ويوظفها في الكتابة.
- يوظف التكنولوجيا الحديثة في التعبير عن نفسه واحتياجاته.

الإرادة هي نفسها العمل الذي يحقق الهدف ويزيل ما قد يحول[1] دون تحقيقه شريطة أن يكون الهدف هو هدفك أنت وإلا كنت آلة مسخرة في يد صاحب الهدف، وإذا كانت الإرادة هي نفسها الفعل ، فقد أصبح واضحًا أن قولك "إرادة الفعل" لا يزيد شيئا على قولك ، الإرادة؛ لأن هذه لا تكون بغير فعل ، كما لا يكون الوالد والدا بغير ولد ، ولا يكون اليمين بغير اليسار ، ولا يكون البعيد بغير القريب ، ولا الأعلى بغير الأدنى، كل هذه متضايفات[2] لا يتم المعنى لأحدها بغير أن تضاف إلى شقيها الآخر.

ونخطو خطوة أخرى، فنقول "إنه إذا كان لا إرادة بغير فعل فكذلك لا فعل بدون تغيير، وسواء كان التغيير ضئيلا أو جسيما فهو تغيير ، إنك لا تفعل الفعل في خلاء ، بل تفعل الفعل – أي فعل كان – لتحرك به شيئًا فيتغير مكانه ليتغير أداؤه وتتغير صلاته بالأشياء الأخرى : كان الحجر هنا على الجبل فأصبح هناك جزءا من الجدار وكان الماء هنا في النهر فأصبح هناك في أنابيب المنازل، كان المداد هنا في الزجاجة ، فأصبح في جوف القلم ، ثم انتشر على

---

* د. زكي نجيب محمود أديب ومفكر وفيلسوف كبير ولد بدمياط ١٩٠٥م، نال درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن ثم واحد من الإسهامات التي أثرت المكتبة العربية، توفي عام ١٩٩٣م

[1] يحول: يمنع

[2] متضايفات : أمور يكمل بعضها بعضا

الورق كتابة يقرؤها قارئ إذا وقع عليها بصره، وكانت الأرض بيانا فزرعت، وكان الحديد حامة من حامات الأرض فصنع فصبانا... كل إرادة فعل، وكل فعل حركة وتغيير.

فقولنا "إرادة التغيير" لا يضيف شيئا إلى شيء، بل هو قول يوضح معنى الإرادة بإبراز عنصر من عناصرها، وكان يكفي أن نقول عن الإنسان إنه إنسان حي لنفهم من ذلك أنه ذو وحدة عضوية هادفة وأنه في سيره نحو أهدافه كائن عاقل مريد، وأنه في إرادته فاعل، وأنه في فعله متحرك ومحرك ومغير ومعبر.

إن أهم ما نريد أن نقرره هنا – تمهيدًا للنتائج التي سنستخرجها في الفقرة التالية من المقال، هو العلاقة بين الفرد والمجموع، تلك العلاقة التي تضمن للفرد حريته، وفي الوقت نفسه تضمن مشاركته للمجموع في رسم الأهداف، فما أكثر ما قاله القائلون بوجود التعارض بين أن يكون الفرد منخرطا في جهد جماعي يساير فيه مواطنيه، وأن يكون – مع ذلك حرًّا – في التماس الطريق الذي يراه ملائما له.

والأمثلة كثيرة جدًّا على ألا تعارض بين الجانبين، إذا نحن فرقنا بين شيئين: الإطار الذي يحدد قواعد السير ثم خطوات السير في حدود ذلك الإطار، فهناك قواعد مشتركة بين لاعبي الكرة أو لاعبي الشطرنج، لا يسمح لأحد اللاعبين بالخروج عليها، ومع ذلك فلكل لاعب كامل الحرية في أن يُحرك الكرة أو قطعة الشطرنج حيث أراد في حدود قواعد اللعب – خذ مثلا آخر: قواعد اللغة يلتزم بها كل كاتب بها أو قارئ لها، فليس من حق الكاتب العربي أن ينصب فاعلا أو أن يرفع مفعولا به، لكن هل يعني هذا حرمان الكاتب من حريته فيما يكتبه، وفق تلك القواعد؟ إن لكل كاتب موضوعاته التي يعرضها وأسلوبه الذي يعبر به عن نفسه، على أن يتم ذلك كله في حدود المبادئ المشتركة، لا بل إنّ كلّ عبارةٍ يخطُّها الكاتبُ إنما يلتزمُ فيها بمبادئَ كثيرة، دون أن يُقيِّد ذلك حريته في اختيار مادتها وطريقة صياغتها، فضلا على قواعد اللغة نحوًا وصرفًا، هنالك مبادئ المنطق يلتزمها بحكم طبيعته نفسها، فهو لا يجيز لنفسه – مثلا – أن يقول إنه إذا أراد مسافر قطعَ المسافة التي طولُها مائتا كيلو متر في ساعتين، فيكفيه قطارٌ يسير بسرعة عشرين كيلومترا في الساعة أو أن يقول أنه إذا أرادت البلادُ تنفيذ خطة صناعية تكلفتها مائتا مليون من الجنيهات فيكفيها أن تجمع من المواطنين خمسين مليونا – الكاتب حر فيما يقول، ما دام قوله ملتزما لطائفة من مبادئ اللغة والفكر، وهكذا قل في المُواطِن الفرد بالنسبة للمبادئ والأهداف التي وضعها المَجْموع، وكان هو أحد أفراد ذلك المجموع فهو حرٌّ في طريقة سيره وأسلوب حياته، عَلى أنْ تجيء نَشاطُه ملتزمةً للمبادئ المقررة.

وبقى لنا أن نستنتج النتائج من هذه المقدمات. إنه إذا كانت كلُّ إرادة هى إرادة تغيير، إذن فليس السؤال هو: هل الإرادة التى أطلقت الشعب يوم انتصاره هى إرادة تغيير؟ أو إرادة شيء آخر؟ بل السؤال هو: ما دامت الإرادة التى أطلقت الشعب يوم انتصاره هى بالضرورة إرادة عمل وتغيير (لأن العمل هو معنى الإرادة كما قدمنا) فما الذى نغيره؟ وما الهدف الذى من أجل تحقيقه نغير ما نغيره؟

إن القائمة لتطول بنا ألف فرسخ[1] . إذا نحن أخذنا نعدُّ التفصيلات الجزئية التى يُراد تغييرها، كأن نحصر الأفراد الذين يراد لهم أن يصحوا بعد مرض، وأن يُعلَّموا بعد جهل، وأن يُطعموا بعد جوع، وأن يكتسوا بعد عُرى، وكأن نحصر الطرق التى يراد لها أن تُرصف، والحشرات التى لابد لها أن تباد، والأرض التى لابد أن تزرع – والمصانع التى لابد أن تقام ... تلك تفصيلات جزئية تعد بألوف الألوف، لكنها تندرج كلها تحت مبادئ محدودة العدد، ثم تندرج هذه المبادئ بدورها تحت ما يسمى بالقيم أو المعايير التى عليها يقاس ما نريده وما لا نريده لحياتنا الجديدة، فإذا أنت غيَّرتَ ما لدى القوم من معايير وقيم، تغيَّرَ هم بالتالى وجهُ الحياة بأسرها.

ولا تكون إرادة التغيير قد نالت من حياتنا قيد أنملة[2] إذا نحن لم نوحد فى أذهاننا توحيدًا تامًا بين العام والخاص، فتلك من أولى القيم التى لابد من بثها فى النفوس وترسيخها فى الأذهان، فنحن بما ورثناه من تقليد اجتماعى أحرصُ ما نكون على المِلْكِ الخاص وأشدُّ ما نكونُ إهمالا للمِلْكِ العام؛ فالفرق فى أنظارنا بعيدٌ بين العناية الواجبة بالابن والعناية الواجبة بالمواطن البعيد، بين العناية بتنظيف الدار من الداخل والعناية بتنظيف الطريق، الفرقُ فى أنظارنا بعيدٌ بين المال نملكه والمال تملكه الدولة وللجميع، بين العيادة الخاصة يديرها الطبيب الذى يستغلها والمستشفى العام يديره الطبيب نفسهُ ولكنه يديره باسم الدولة، الفرقُ فى أنظارنا بعيدٌ بين معنى "أنا" و"نحن"، وبين "هو" و"هم" فما زال الذي يشغلنا هو هذه "الأنا" و"النحن" اللتان لا تعنيان أكثر من الأسرة وحدوها، وأما "هو" و"هم" اللتان تمتدان لتشملا أبناء الوطن جميعا فما تزالان فى أوهامنا تدلان على ما يشبه الأشباح التى لا يؤذيها التجويعُ والتعذيب.

ولا تكون إرادة التغير قد نالت من حياتنا قيد أنملة إذا لم ننقل مواضع الزهو، فبدل أن يُزهَى المرء بنفسه لأنه ليس مضطرًا للخضوع للقانون كما يخضع له عامة السواد، يُزهى المرء بنفسه بقدر ما هو خاضع لقانون الدولة

---

(١) الفرسخ : وحدة قياس أطوال بحرية، وهو ثلاثة أميال.

(٢) قيد أنملة: قدر رأس الإصبع.

سواء جاء خضوعه هذا علانية أمام الملأ أو سرًا في الخفاء، فنحن بحكم التقليد الاجتماعي الذي ورثناه عما سوف نعمل من مكانة الذين لا نسري عليهم القوانين سريانها على الجماهير، فإذا قيل – مثلاً – يكون اللحم بمقدار أو يكون السكر والزيت بمقداره، رأيت صاحب المكانة الاجتماعية قد ملأ داره ودور أقربائه وأصدقائه لحمًا وسكرًا وزيتًا، لأنه لا يكون صاحب جاه – بحكم التقليد – إلا إذا كان في وسعه الإفلات من حكم القانون.

الإرادة هي نفسها إرادة التغيير، ولا يكون التغيير لمجرد تبديل وضع بوضع بغير قيود ولا شروط بل يكون تبديل وضع أفضل بوضع أدنى، ومقياس التفاوت في العلو، إنما يقاس بعدد المواطنين الذين يلتفون بالوضع الجديد.

المهم في إرادة التغيير أن نعرف ماذا نغير من حياتنا؟ كيف نغيره؟ والذي نريد له أن يتغير هو القيم التي نقيس بها أوجه الحياة، وكيفية تغييرها هي أن نختار لكل موقف معيارًا من شأنه أن يخلق أكبر تمتع وقوة وكرامة واستنارة وأمن لأكبر عدد من أبناء الشعب.

تدريبات وأنشطة

١- استمع للفقرة الأولى من زميلك ثم أجب عما يلي:

أ- ما الدلالات غير المباشرة التي تضمنتها هذه الفقرة؟

ب- يميل الكاتب إلى أن الفرد لا يكتسب قيمته إلا من خلال المجموع وكذلك المجتمع لاتتحقق أهدافه إلا من خلال الأفراد.. دلل على ذلك بعد استماعك للموضوع.

ج- ما أدوات الكاتب للتدليل على ما طرحه من فكر؟ وما رأيك فيها؟

٢- - شارك زملاءك في مناظرة تبنى الطرف الأول منها الرأى القائل بأن للمخدرات فوائد، وتبنى الفريق الثاني الرأى القائل أضرار المخدرات. وضح إلى أيهما تميل مع التعليل مراعيًا ما يلي:

- توظيف الشواهد والأمثلة.
- استخدام أدوات الربط.
- توظيف الصور البيانية.

٣- حدد الفكر التي يمكن الاستغناء عنها في النص.

٤- ما الفكر التي تقترحها لإثراء النص؟

٥- اقترح خمسة عناوين للموضوع.

٦- املأ الجدول التالي:

المكون	ما أعجبني	التعليل	مالم يعجبني	التعليل
الفكرة				
العبارة				
التراكيب				
الأسلوب				

٧ – اقرأ الفقرة التالية ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

"الإرادة هي نفسها العمل الذي يحقق الهدف ويزيل ما قد يحول دون تحقيقه شريطة أن يكون الهدف هو هدفك أنت وإلا كنت آلة مسخرة في يد صاحب الهدف"

أ- من خلال فهمك لمعاني الكلمات من خلال السياق هات مايلي:

- معنى: "مسخرة – يحول – شريطة"
- مضاد: "يزيل – يحول – صاحب"
- جمع: "إرادة – شريطة – أنت"

ب- ما العلاقة بين الإرادة والعمل؟

ج- متى يصبح الإنسان آلة مسخرة في يد صاحب الهدف؟

د- ما موقع الجمل التالية من الإعراب .....؟

- الإرادة هي نفسها العمل
- يحقق الهدف

هـ – اقترح ثلاثة أسئلة على الفقرة السابقة ثم اكتب إجاباتها.

٨ – اقرأ الفقرة التالية ثم أجب:

"ولا تكون إرادة التغيير قد نالت من حياتنا قيد أنملة إذا نحن لم نوحد في أذهاننا توحيدًا تامًا بين العام والخاص تلك من أولى القيم التي لابد من بثها في النفوس وترسيخها في الأذهان"

أ- هات معنى (قيد أنملة) ومضاد (التغيير).

ب- عبر عن الفقرة السابقة بأسلوبك.

ج- استنتج مايلي:

- القيمة التي تدور حولها الفقرة.
- الفكرة التي يريد الكاتب اقناع القارئ بها.

د- ما الأداة التي ساقها الكاتب في النص لاقناع القارئ بفكرته؟

هـ- حدد الموقع الإعرابي للجمل التي تحتها خط في الفقرة

٩ – لخص الدرس في فقرتين مراعيًا ما يلي:

- الصحة النحوية والإملائية.
- السلامة الأسلوبية.
- الدقة التعبيرية.

١٠ – بالتعاون مع زملائك أنشئ على صفحتك بأحد مواقع التواصل الاجتماعي مجموعة وشمها ثم ضمنها آرائك ووجهات نظرك في الحياة والكون.

الموضوع الثانى

نصيب العرب من حضارة العالم

(بتصرف) عباس العقاد*

الأهداف :
فى نهاية هذا الموضوع ينبغى أن يكون الطالب قادرًا على أن :
- يثرى المقروء بفكر ابتكارية.
- يحدد الأعماء الفكرى للمتحدث.
- يحدد الفروق الدقيقة بين معانى كلمات استمع إليها.
- يصف الحجج التى يستخدمها المتحدث فى كلامه بما فى ذلك الحجج المنطقية والحجج العاطفية.
- ينوع لغة الخطاب حسب المقامات والأغراض والمعانى.
- يستخدم أدوات الربط.
- يستخدم صورًا بيانية فى حديثه.
- يبدى رأيه فيما يقرأ من نصوص معللا.
- يعيد تنظيم الفكر حسب رؤيته.
- يكتب موضوعًا معبرًا عن فكره وآرائه.

وجُد العرُب قبل أن يُعرف اسمُ العرب

نشأت الحضارةُ العربية في الأقاليم المتوسطة بين القارات الثلاث منذ نَيِّف[1] وأربعين قرنًا في زمن لا تعرف الآن بداءته على وجه التحقيق.

كانت الأمة العربية تقيم أوتترحل بين شبه الجزيرة ووادي النهرين وبادية الشام ومغانى[2] النبط في شمال الحجاز ولا تسمى باسمها الذي اشتُهر على الخصوص بعد ظهور الدعوة الإسلامية ولكنها هي الأمةُ العربية في أصولها وسماتها وإن لم يكن لها اسمها الحديث لأن الأسماء تولد عادة بعد مولد صاحبها بزمن بقصر أو يطولُ.

أصحُّ اعتبار نلاحظُه في النظر إلى نصيب العرب من حضارة العالم هو هذا الاعتبار الذي يعود بنا إلى الأصولِ العريقة منذ أقدمِ العهود التاريخية لأنه يميز لنا العربَ بأصولهم ولغتهم وأمزجتهم وأطوارهم قبل أن يميزهم الاسمُ المصطلح عليه فيما بينهم وبين الأمم التي تجاورهم لأن تاريخهم في الوجود أسبقُ من تاريخ المتكلمين عنهم بمختلف الأسماء.

وعلى هذا الاعتبار يتسع أمامنا أثرُ العرب في حضارة العالم غاية اتساعه المشروع ويكاد يشمل الكرة الأرضية بجملة أطرافها المعمورة بغير استثناء.

---

* للأستاذ عباس محمود العقاد توفى سنة ١٩٦٤، لمعرفة المزيد عن حياة العقاد راجع نص "لمحات من حياة العقاد" بهذا الكتاب

(١) نيف: مازاد على العقد من السنوات

(٢) مغانى: مواضع

أيام الأسبوع من وحي الحضارة العربية

ولا حاجة هنا إلى الإحصاء الطويل لبيان المراجع والأسانيد فإن حركة من حركاتنا اليومية كلها بدأنا أعمالنا في يوم من الأيام تعود بنا الى أثر الحضارة العربية قبل ألوف السنين ونعني بها حركة اليد التي ترفع ورقة التقويم كل مطلع شمس عن نهار جديد فإنها تتحرك باتجاه الحضارات العربية التي قسمت الأيام إلى أسابيع وقسمت الأسبوع الواحد على مطالع الكواكب من الشمس الى الزُّهرة إلى الكوكب السابع – زحل – أرفع الكواكب في المدار وقد فعلت ذلك منذ أربعين قرنًا أو تزيد ، ومن الظواهر العجيبة في بقاء الحضارات أن الأمم العربية هي التي تحتفظ اليوم بهذا الأثر في تسمية أيام الأسبوع دون الأمم الشرقية وقلما يفهم الأوروبيون في عصرنا أنهم يرددون أقوال العرب الأقدمين حين يسمون "الأربعاء" يوم "عطارد" ويسمون "الخميس" يوم "المُشْتَرِي" ويسمون "الجمعة" يوم "الزُّهرة" ويسمون "السبت" يوم "زحل" ويجعلونه نهاية المطاف.

العربيةُ تدخل اللغات الأوربية

على أن الحضارة العربية قد ساهمت بنصيب أوفى جدًا من هذا النصيب في التاريخ الإنساني بعد ظهور الدعوة الإسلامية ولا حاجة هنا أيضا الى الإسهاب في بيان المراجع والأسانيد لأننا قد نستغني عنها بوضع كلمات عربية لا تزال في لغات العرب متكررة مترددة حتى اليوم وقد تغني دلالتُها عن دلالة الشروح المطولة لأنها تدل على تعلغل[1] الحضارة العربية في شئون المعيشة اليومية التي تلازم المرء في داره وفي موطن عمله كما تلازمه في جده ولهوه.

فكم بلغ من شيوع الحضارة العربية في معيشة القوم قبل أن يأخذوا من العرب كلمة "القميص" بحروفها.. وكم بلغ من شيوع تلك الحضارة قبل أن يعرفوا الحريرَ الدمشقي والحريرَ الموصلي والحريرَ العَزِّي بأسماء دمشق والموصل وعَزَّة؟ وكم بلغ من شيوعها قبل أن يسموا العُود، والقِثَارة، والرَّبابة، والقِتَاح أو الإقليدَ بأسمائها وحروفها العربية المصحَّفة؟ وكم بلغ من شيوعها قبل أن يُسَمُّوا القَهْوة باسمها في لغة الضاد.

لاريب أن شيوع هذه الكلمات "المعيشية" يدل على أثرٍ واسعٍ من ذلك الأثر بكثير لأنه يمتد إلى العالم والجاهل وإلى المدرسة والبيت وإلى ضرورات الكساء والغذاء وأفانين[2] اللهو واللعب وليس وراء ذلك من أمد تنتهي أشواط[3] الحضارة إليه.

---

(١) تغلغل: دخول واختلاط

(٢) أفانين: ضروب وأنواع والمقصود هنا

(٣) أشواط: مراحل

والأرقام من عندنا

إلا أن الحروف والأرقام القليلة تعني هنا أيضا فوق غناء الأسفار والشروح لأن الأبجدية برسومها منقولة إلى الأمم التي اشتهرت بين القوم باسم الأرقام العربية ولا سيما رقم (الصفر) الذي تدللت به صعوباتُ الرياضة القديمة جميعًا.

ولا خلاف بين الباحثين على الرجوع بأوائل الأبجدية إلى حجر (سيناء) المشهور أو على سريان الأبجدية إلى بلاد النَّبط في الشمال وبلاد اليمن في الجنوب ثم سريانها إلى أمم الشرق والغرب من هذين الطريقين.

ومهما يكن من رأي في الأصول والنقول فالأمرُ الذي لا شبهه فيه أن أل ABC هي أبجد بعينها وأن الجيم في الأبجدية مخطوطة على شكل رقبة الجمل وهو على هذه الرقعة من الأرض حيوانٌ أصيل في البادية العربية ولا يوجد حرفٌ من الأبجدية وحده مالم يكن مصحوبا بغيره من الحروف.

والطب والكيمياء عربيان

وفي الطب يكفي أن يقال أن جامعة (لوفان) لم تعرف إلى القرن السابع عشرَ مرجعا للطب والعقاقير أوفى من كتب الرازي[1] وابن سينا[2] وابن الهيثم[3] وأن أطباء العرب صححوا آراء بقراط[4] وجالينوس[5] في التشريح ووظائف الأعضاء.

وفي الكيمياء يكفي أن نعلم أن القلويات كلَّها معروفة باسمها العربي إلى اليوم، وأن أهم الحوامض – وهو ماء الفضة – لم يوصف في كتاب غربي قبل كتاب جابر بن حيان[6] وأن ملح البارود من تحضيرات تلميذ العرب روجرز باكون[7].

---

(١) أبو بكر محمد الرازي (٨٦٥ – ٩٢٥م) طبيب وكيميائي وفيلسوف مسلم

(٢) أبو علي الحسين بن سينا (٩٨٠ – ١٠٣٦م) فيلسوف وطبيب مسلم

(٣) أبو علي الحسن بن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٩م) من أكبر علماء العرب في الرياضيات والطب والفلسفة

(٤) طبيب إغريقي قبل الميلاد

(٥) (١٣٠ – ٢٠٠) طبيب وكاتب يوناني وقد ظل حتى القرن ١٦ مرجعا مسلما به في الطب

(٦) طبيب عربي أول من اشتغل بالكيمياء عاش في الكوفة وبغداد في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع

(٧) حوالي ١٢١٤م – ١٢٩٤م فيلسوف إنجليزي وعالم

حتى في الأدب

وقد يسبق إلى الخاطر أن الأدب الأوربي ميدانٌ لا يتسع للاقتباس من الحضارة العربية كما اتسعت ميادين العلوم والمباحث الفكرية لاختلاف اللغة واختلاف قواعدها من أساسها بين الشعبة الآرية والشعبة السامية من اللغات.

إلا أننا لا نقرأ بوكاشيو[1] الإيطالي في (صباحاته العشرة) ولا سرفانتيز[2] الأسباني في (دون كيشوت) ولا شكسبير[3] الإنجليزي في رواية (العبرة بالخواتيم)، ولا دانتي[4] الإيطالي في (القصة الإلهية) إلا تبين لنا على التحقيق أنهم مدينون لقصص ألف ليلة وحكاية ابن طفيل[5] وغيرهما.

حضارة العرب وسطت الحضارات زمانا ومكانا

هذه العجالة السريعة عن نصيب العرب حضارة العالم لا تعدو أن تكون عنوانا مجملا لهذا الموضوع المستفيض الذي لا يحاط به في غير المجلدات الضخام وكل مانبغيه من هذا العرض الموجز أن نلم فيه إلمامة إنصاف بالمكان الرفيع الذي تتبوأه حضارةُ العرب بين أرقى الحضارات الإنسانية في تاريخها القديم أو الحديث.

ولكنا لا نبلغ بهذه الالمامة حقَّها من الإنصاف مالم نُدخل في حسابنا تلك المنزلةَ الوسطى التي امتازت بها حضارةُ العرب في حيز المكان وحيز الزمان على السواء. ونعني بالمنزلة الوسطى أن هذه الحضارة قامت متوسطةً في مكانها بين الشرق والغرب متوسطةً في زمانها بين حضارات القرون الأولى وحضارة القرون الحديثة من أواسط القرن التاسع عشر إلى الآن فاستطاعت بتوسطها في المكان أن تنقل من الشرق الى الغرب وأن تعرف العالم بما كان محجبا وراء السدود والمسافات من حضارات الفرس والهند والصين.

---

(١) جيوفا في بوكاشيو (١٣١٣م - ١٣٧٧م) شاعر روماني

(٢) روائي وكاتب مسرحي وشاعر ولد سنة ١٥٤٧م وتوفي سنة ١٦١٦م

(٣) وليم شكسبير (١٥٦٤م - ١٦١٦م) أعظم الشعراء والكتاب المسرحيين الإنجليز

(٤)شاعر عاش سنة ١٢٦٥ وتوفي ١٣٢١م

(٥) فيلسوف وطبيب عربي أندلسي ولد في أوائل القرن الثاني عشر الميلادي وتوفي سنة ١١٨٥م وله قصة مشهورة هي "حي بن يقظان"

تدريبات وأنشطة

١ - استمع للموضوع ثم أجب :

أ- ضع عنوانا آخر للموضوع .

ب- أين نشأت الحضارة العربية ؟

ج- كيف وجد العرب قبل أن يعرف اسم العرب؟

٢ - تحدث أمام زملائك فى الإذاعة المدرسية عن العلاقة بين الحضارة العربية والحضارة الغربية مراعيا ما يلى:

- استخدام أدوات الربط .
- استخدام الصور البيانية.
- توظيف التعبيرات الملمحية .

١ - شاهدت مناظرة عنوانها "عوامل تقدم الأمة العربية" بين فريقين يرى أحدهما أن الرجوع للتراث وإحيائه يحقق للأمة العربية التقدم ويرى الآخر أن الأخذ من الحضارة الغربية يحقق التقدم للأمة العربية التقدم . وازن بين الرأيين داعما وجهة نظرك بالأدلة .

٢- استخدم الكلمات الآتية في جمل توضح معناها:

- أفانين
- أشواط
- ابتعاث

٣- اقرأ الدرس قراءة صامتة ثم أجب عن الأسئلة التالية :

أ ـ ما أصح اعتبار نلاحظه في النظر الى حضارة العرب؟

ب ـ ما الدليل على أن أيام الأسبوع من وحي حضارة العرب؟

ج ـ على أي شيء تدل بعض الكلمات العربية في اللغات الأوربية؟

د ـ ما الفكرة التى لم يتطرق إليها الكاتب وترى أنها ضرورية ؟

هـ ـ ما أثر الأدب العربي على الأدب الأوربي؟

و ـ ما معنى أن حضارة العرب توسطت الحضارات زمانا ومكانا؟

٤- اقرأ الفقرة التالية ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

"فكم بلغ من شيوع الحضارة العربية في معيشة القوم قبل أن يأخذوا من العرب كلمة القميص بحروفها.. وكم بلغ من شيوع تلك الحضارة قبل أن يعرفوا الحرير الدمشقي والحرير الموصلي والحرير الغزي بأسماء دمشق والموصل وغزة؟ وكم بلغ من شيوعها قبل أن يسموا العود، والنقارة، والربابة، والمفتاح أو الإقليد بأسمائها وحروفها العربية المصحفة.. وكم بلغ من شيوعها قبل أن يسموا القهوة باسمها في لغة الضاد."

أ- ما معنى "بلغ"؟ وما مضاد "شيوع"؟

ب- بم اشتهرت الموصل كما فهمت من الفقرة؟

ج- دلل على شيوع الحضارة العربية في معيشة الغرب.

٥- اكتب مقالا عن أثر العرب في الحضارة الأوربية

الموضوع الثالث

أبو الريحان البيرونى

عبد الحليم منتصر (بتصرف)*

الأهداف :

فى نهاية هذا الموضوع ينبغى أن يكون الطالب قادرًا على أن :

- يحدد الاتجاه الفكرى للمتحدث.
- يحدد الفروق الدقيقة بين معانى كلمات استمع إليها.
- يخاطب المستمعين بتعبيرات مناسبة.
- يتحدث اللغة العربية الفصحى بطلاقة.
- ينوع لغة الخطاب حسب المقامات والأغراض والمعانى.
- يوظف الأمثلة والشواهد والأدلة فى حديثه.
- يستخدم أدوات الربط.
- يثرى المقروء بفكر ابتكارية.
- يعيد تنظيم الفكر حسب رؤيته.
- يقترح أكبر عدد ممكن من العناوين لنص قرأه.
- يطرح أسئلة إبداعية حول النص.
- يكتب مقالات فى أغراض مختلفة.
- يكتب مقالا مراعيًا تسلسل الفكر وشموله.

أبو الريحان البيرونى هو أحد العلماء الكبار الذين يتميز بهم العصر الذهبى للحضارة العلمية العربية. يقول عنه أحد المستشرقين: " إنه أكبرُ عقليةٍ علميةٍ فى التاريخ، وإنه من أضخم العقول التى ظهرت فى العالم، وإنه أعظمُ علماءِ عصره، ومن أعظم العلماء فى كل العصور، ويقول "مايرهوف[1]": إن اسمَ البيرونى أبرزُ اسم فى موكب العلماء الكبار، واسعى الأفق الذين تزدان بهم الحضارةُ العلميةُ الإسلامية. ويقول المستشرقُ الأمريكى "إيريوبوب": فى أية قائمة تحوي أسماء أكابر العلماء، يجب أن يكون لاسم البيرونى مكانهُ الرفيعُ، ومن المستحيل أن يكتمل أىُّ بحث فى الرياضيات أو الفلك أو الجغرافيا أو التاريخ أو علم الإنسان أو علم المعادن، دون الإقرار بمساهمة البيرونى العظيمة فى كل علم من تلك العلوم.

والحقُّ أن قلةً من المؤرخين الأجانب، هى التى أنصفت العلماء العربَ أما الأغلبيةُ الساحقةُ، فقد أعماها الحقدُ والتعصبُ، فلم تعترف لهم بأى فضل، وكما تقول الدكتورة "ميجريد هونكه" إنه من كل مائةِ كتاب تبحثُ فى تاريخ العلم يوجد اثنان فقط يعترفان ببعض فضل للعلماء العرب.

---

* الدكتور عبد الحليم منتصر، عالم مصري ولد في ١٩٠٨م تخرج في كلية العلوم عام ١٩٣١م حصل على درجة الماجستير عام ١٩٣٣م وحصل على الدكتوراة في فلسفة العلوم عام ١٩٣٨م شغل منصب عميد كلية العلوم كون مع زملائه مجلة رسالة العلم في سنة ١٩٤٧م

[1] ما يرهوف (١٨٧٤م – ١٩٤٥م) مستشرق ألماني.

وفي الحق أنّ الأمة العربية قد واتتها[1] ظروفٌ طيبةٌ، جعلت لها مركزا قياديا في العلم، فهلّت[2] من العلم الإغريقي، وترجمت الكتب الإغريقية، والفارسية والهندية والسريانية، ومن المستحيل أن نتصور أنّ أمةً تنقل علوم أمة أخرى دون أن تكونَ قد بلغت من التقدم العلمي والحضاري ما يؤهلها لاستيعاب هذا العلم الذي تنقله، ولا تُعرف أمةٌ في التاريخ عنيت بالعلم، كما عُنيت الأمةُ العربيةُ بالعلم في العصر الإسلامي الزاهي، حتى كان العلمُ والحركة العلمية جزءا من حياتها وكيانها.

ويعتبر البيروني ثالثَ الثلاثة الذين يزدهي بهم العلمُ في كل عصر وآن، سطعوا في سماء الحضارة العلمية، وكان كلٌّ منهم هو الأعلى كعبًا، والأرسخَ قدما في علمه وفنه، أما الثلاثةُ فهم ابنُ سينا، وابنُ الهيثم والبيروني، وأما العصرُ الذي نشأوا فيه فهو الحقبة الممتدة من منتصف القرن الرابع الهجري، حتى منتصف القرن الخامس.

وهو أبو الريحان محمد بن أحمد الفلكي وُلد بضاحيةٍ من ضواحي خُوارزم سنة ٣٦٢هـ زار العواصمَ العربية، وعاش في الهند زمنًا طويلًا، وتُوفي في سنة ٤٤٠ هـ بعد أن عُمّر نحو ثمانين عامًا حافلةً بالبحث والتأليف والدراسة لم يقتصر على دراسة العلوم الطبيعية والرياضية والتأليف فيها، ولكنه ألف في التاريخ والجغرافيا كما ألف في الفلك والرياضيات والمثلثات.

وقد زار الهندَ في حداثته، وأمضى بها أربعين عامًا استقصى فيها حوادثَ الهند وأخبارَها وأساطيرَها ووصف عاداتها وأخلاقها وأزياءها في إفاضةٍ عجيبة، وخرج على الناس بكتابه المشهور " تحقيقُ ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة" ولقد أجمع النقاد على أن تأليفَه في التاريخ من خيرِ المراجع لاستطلاع أخبارِ الشعوب الشرقية وحوادثها وأساليب معيشتها.

ولما عاد البيروني من الهند، استقر في البلاط الغزنوي[3]، وأهدى إلى السلطان المسعودي رسالةً في علم الفلك عنوانها "القانون المسعودي في الهيئة والنجوم" وهي عبارةٌ عن كتابٍ ضخم يقع في ثلاثةِ أجزاء، ويُروى أنّ السلطانَ أراد أن يكافئه على هذا العملِ العظيم، فأرسل إليه ثلاثة جمال، تنوء بأحمالها من نقودِ الفضة، فردها البيروني قائلًا إنه إنما يخدمُ العلمَ للعلم.

وفي السنة نفسها التي أخرج فيها البيروني هذه الرسالة الفلكية، كتب رسالةً أخرى، في الهندسة والحساب والتنجيم، عنوانها "التفهيمُ لأوائلِ صناعة التنجيم" وله كتابٌ في المادةِ الطبية، "كتابُ الصيدلة" ،كما ألف كتابًا في الجواهر، عنوانه "الجماهرُ في معرفةِ الجواهر" ورسالة في المعادن.

---

(١) واتتها: سنحت لها.

(٢) تهلت: عرفت وأخذت.

(٣) البلاط الغزنوي: نسبة إلى السلطان محمود بن سبكتكين (٩٧٠ - ١٠٣٠) المولود بغزنة فاتح الهند

لقد أفاد البيرونى أعظم فائدة من رحلة الهند، فقد درس هناك العلوم اليونانية كما حقق[1] العلوم الهندية، وقد نشر المستشرقُ "سخاو" كتابه عن الهند كما نشر كتابه العظيم "الآثار الباقية عن القرون الخالية".

والواقع أن البيرونى قد تميز فى فنون كثيرة متباينة غاية التباين، مما يدل على أنه عبقرية نادرة المثال: فهو فى "التاريخ" مؤرخ محقق مدقق، واسع الاطلاع، وفى "الجيولوجيا" جيولوجى ممتازٌ بشهادة الجيولوجيين المعاصرين، وفى "الفلك" فلكىٌّ ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين، وفى "الرياضيات" رياضىٌّ ممتازٌ بشهادة أساتذة الرياضيات المعاصرين.

لقد حُصرت مؤلفاتُ البيرونى مابين مطبوع ومخطوط، وموجود ومفقود، فإذا بها تبلغ مائةً وثمانين كتابًا ورسالة. وقد كتب البيرونى معظمَ مؤلفاته باللغة العربية، ولقد كان بارعًا فى الكتابة باللغة الفارسية كذلك، وفى دُورِ الكتب الأوربية جملةٌ طيبةٌ من مؤلفاته القيمة، يرجع إليها المستشرقون فى بحوثهم ودراساتهم.

وللبيرونى رسالة فى الأبعاد والأجرام يتكلم فيها عن مساحة الأرض، وبُعد القمر من الأرض، ومقدارِ حرم القمر من جرم الأرض، وقطر الشمس ومقدار ظل القمر، ثم أبعاد وأحجام عطارد والزهرة والمريخ والمشترى وزحل .... إلخ.

لقد تميز البيرونى بالصفات الأساسية التى تخلق العالِمَ وتميزه، من عبقرية فذة، إلى ذكاء نادر متوقد، مع صبر ومصابرة ومثابرة، وجلد على العمل قلّ أن عُرف له نظيرٌ، إلى دقة فى الملاحظة وبراعة فى الاستقراء، مع زهدٍ فى المال والسلطان وعُلُوٍّ عن الصغائر حتى قيل عنه بحق "إن البيرونى مظهرٌ من مظاهر الشمول وعدمِ التقيد بزمن، شأنَ العقول العظيمة".

وإنه لفى الإمكان تجميعُ عدد كبير من الاقتباسات من مؤلفات البيرونى، كتبها منذ أكثر من ألف سنة، وإنها لتسبق كثيرًا من المناهج العقلية التى يُفترضُ اليوم أنها حديثة.

لقد أصدرت أكاديميةُ العلوم السوفيتية سنة ١٩٥١م - مجلدًا تذكاريًا بعنوان "البيرونى" نشر تحت إشراف المستشرق تولستوف بمناسبة مرور ألف سنة هجرية على مولده. كما صدر فى الهند المجلد التذكارى للبيرونى سنة ١٩٥١م، يحوى عشراتِ البحوث والمقالات عن البيرونى، وذلك احتفالاً بذكراه، واعترافًا بفضلِهِ على العلمِ والإنسانية.

---

(١) حقق: عرفها.

تدريبات وأنشطة

١. استمع للدرس ثم أجب عما يلى :

أ- ماذا يمثل البيرونى فى نظر المستشرقين؟

ب- ما العوامل التى أثرت فى نضج الحضارة الاسلامية؟

ج- نشأة البيرونى ورحلاته خلقت منه عالماً فذا. اشرح هذه الجملة؟

د- ماذا ينبغى لطالب العلم؟

هـ - ماذا تفيد من حياة البيرونى كطالب علم؟

و- على أى شىء تدل عبقرية البيرونى؟

ز- أدخل كل كلمة من الكلمات التالية فى ثلاث جمل بمعان مختلفة :

- حافلة
- إفاضة
- تنوه

٢. تحدث فى الإذاعة المدرسية عن أبرز صفات البيرونى مراعيا ما يلى :

- تحدث اللغة العربية الفصحى .
- مخاطبة المستمعين بتعبيرات مناسبة.
- تنويع لغة الخطاب حسب المقامات والأغراض والمعانى.
- توظيف الأمثلة والشواهد والأدلة.
- استخدام أدوات الربط.

٣. اقرأ الدرس قراءة صامتة ثم أجب عما يلى :

أ- ما الفكرة العامة للموضوع ؟

ب- ما الفكر الجزئية التى اشتمل عليها النص؟

ج- ما الفكر التى تود إضافتها للموضوع ؟

د- اقترح أكبر عدد ممكن من العناوين للموضوع

هـ - فى أى شىء برز البيرونى؟ وما أشهر كتبه؟

٣- على أى شىء يحتوى كتاب: "قانون المسعودى"؟

٤. اقرأ ثم أجب :

والواقع أن البيرونى قد تميز فى فنون كثيرة متباينة غاية التباين، مما يدل على أنه عبقرية نادرة المثال "فهو فى التاريخ" مؤرخ محقق مدقق، واسع الاطلاع، وفى الجيولوجيا جيولوجى ممتاز بشهادة الجيولوجيين المعاصرين، وفى الفلك فلكى ممتاز بشهادة الفلكيين المعاصرين، وفى الرياضيات رياضى ممتاز بشهادة أساتذة الرياضيات المعاصرين".

أ- هات معنى: "متباينة" ومضاد" واسع" فى جملتين من إنشائك

ب- فيم تميز البيرونى ؟ وما الأدلة على تميزه؟

ج- "إن للبيرونى مظهرًا من مظاهر الشمول وعدم التقيد الزمنى، اشرح هذه الجملة على ضوء صفات البيرونى.

٥. اكتب فقرة لا تزيد على ١٦٠ كلمة عن عبقرية البيرونى وانشرها على صفحتك فى أحد مواقع التواصل الاجتماعى

٦. اكتب مقالا عن أشهر العلماء العرب فى شتى المجالات وانشرها فى مدونتك الإلكترونية على الشبكة الدولية للمعلومات ،مراعيًا تسلسل الفكر وشمولها.

٧. اكتب بحثًا عن المصريين الذين حصلوا على نوبل واعرضه على معلمك وزملائك.

نص من شعراء الديوان :

الأهداف :

يتوقع فى نهاية هذا الدرس أن يكون الطالب قادرًا على أن:

* يحدد الفروق الدقيقة بين معاني كلمات استمع إليها
* يخاطب المستمعين بتعبيرات مناسبة.
* يبحث عن الفكر المحورية في النصوص باستخدام العناوين الرئيسة والفرعية والمصطلحات الرئيسة
* يحلل مكونات الصورة الأدبية.
* يستنتج الخصائص الأسلوبية فى النص.
* يستنتج خصائص العمل الأدبي.
* يستنتج عناصر البناء الفنى في النص الأدبي.
* يستنتج سمات البيئة من النص.
* يوازن بين أكثر من عمل أدبي.
* يكتب موضوعًا معبرًا عن فكره وآرائه.
* يحلل النص في ضوء التجربة الشعرية.

في رثاء مي

للعقاد

أين في المحْفِلِ ميٌّ يا صِحَابْ؟

عوَّدَتْنا هاهنا فَصْلَ الخِطابْ[1]

عرشُها المنبرُ[2] مرفوعُ الجَنابْ[3]

مستجيبٌ حينَ يُدْعَى مُستَجابْ

أينَ في المحفِلِ ميّ يا صِحابْ؟

.....

سائِلُوا النُّخبةَ[4] من رَهْطِ النَّدِيّ[5]

أينَ ميٌّ؟ هل علِمتُمْ أينَ ميّ؟

الحديثُ الحلوُ واللّحْنُ الشَّجِيّ[6]

والجبينُ الحرُّ[7] والوجْهُ السَّنِيّ[8]

أينَ وَلّى كوكبَاهُ[9]؟ أينَ غَابْ؟!

.....

---

(١) فصل الخطاب: القول الصّواب

(٢) عرشها المنبر: أي المنبر هو مكانها اللائق بها؛ للدلالة على تمكُّنها من البيان والخطابة.

(٣) مرفوع الجناب: أي معتزًا بها ومفتخرًا.

(٤) النخبة: الصفوة.

(٥) رهط الندى: الجماعة ممن يحضرون مجلسها. الندىُ والنادي: مجلس القوم ومكان اجتماعهم.

(٦) الشّجِيّ: المؤثّر.

(٧) الجبين الحرُّ: الجبين الصّافي.

(٨) الوجه السّنيّ: الوجه الوضّاءُ المشرق.

(٩) كوكباه: أصلها (كوكب)، وقد استعار الشاعرُ الكلمةَ للأديبة الراحلة بجامع السُّمُوّ والشهرة، ثم ألحق بها الألفَ والهاء – التي تُعرفُ بـ (هاء السّكت) على سبيل النُّدْبَة – وهي أحد أساليب النداء والأصل في هذا الأسلوب أنْ تُسْبَقَ الكلمةُ بـ (وا) وتُلحَقَ بها ألفٌ زائدة، وقد تلحقها الهاء، نحو: وا إسلاماه، وامعتصماه، وقد جاء الأسلوب في النص بدون (وا).

شِيَمٌ غُرٌّ[1] رضِيّاتٌ عِذَابْ

وحِجى ينفُذُ بالرّأيِ الصَّوابْ

وذكاءٌ ألمعيٌّ[2] كالشِّهابْ

وجمالٌ قُدُسِيٌّ[3] لا يُعَابْ

كلُّ هذا في الترابْ؟ آهِ مِنْ هذَا التُّرابْ

.....

وَيْكَ[4] ما أنتَ برادٍّ مالدَيْكْ

أَضيَعُ الآمالِ ما ضَاع عليْكْ

مَجْدُ مَيٍّ غَيْرُ مَوْكولٍ إليْكْ

مَجْدُ مَيٍّ خالصٌ[5] من قَبْضَتَيْكْ

ولها مِنْ فضلِها ألفُ ثَوابْ

الشاعر:

هو عباس محمود العقّاد (١٨٨٩ – ١٩٦٤) أحد أعلام التجديد الشعري والفكر النقدي في العصر الحديث، تكونت منه مع زميليه إبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ – ١٩٤٩) وعبد الرحمن شكري (١٨٨٦ – ١٩٥٨) ما عُرف بجماعة الديوان — نسبة إلى "كِتاب الديوان في الأدب والنقد" الذي أصدره العقاد والمازني سنة ١٩٢١، وفيه كما في كتابات العقاد في مقدمات دواوينه ومقدماته لدواوين زملائه وبعض أصدقائه - شرح لجوهر الشعر كما تراه مدرسته من كونه تعبيرًا عن ذات صاحبه ووجدانه وتعظيم دور الصورة في نقل إحساس الشاعر، والحرص على تماسك القصيدة.

---

(١) الشِّيَم: الأخلاق، مفردها: شِيمة. الشِّيَم الغُرّ: الأخلاق الحميدة. أصل معنى الغُرّ: البيض. مفردها: غرّاء.

(٢) الألمعيّ: صاحب الرؤية الصائبة.

(٣) الجمال القُدسيّ: الجمال الطاهر.

(٤) وَيْكَ: وَيْ: اسم فعل أمر والكلمة هنا تفيد الإنكار والتعجب الممزوج بالغضب

(٥) الخالص: هنا بمعنى المتحرّر

الدراســـة

أما موضوع القصيدة فهو الرثاء، والرثاء هو الحديث عن الميت وذكر محاسنه، أما المرثيّة فهي مَيّ زيادة (١٨٨٦ - ١٩٤١) أديبة وشاعرة وصاحبة نشاط ثقافي واجتماعي واسع، من أصل غير مصري، عرفت بصالونها الأدبي الذي كان يجتمع فيه كبار الأدباء والشعراء في وقتها.

تبدأ القصيدة بسؤال لا ينتظر له جواب، أو هو سؤال معروف الجواب، ولكنّ الشاعرَ يلقيه ليتولّى بنفسِهِ الإجابةَ عنه في صورة حديث عن الأديبة التي رحلتْ وأخلفتْ ما اعتاده رُوّادُ ندوتها من البيان الرائع تلقيه معتلية عرشَ بيانها الذي ملكتْ ناصيتَهُ فاستجاب لها، وراح يزهو بها ويتسامى.

ثم يلقي بسؤال آخر يتوسّل به إلى استعراض صفات الأديبة الكبيرة التي يقدم رثاءها؛ هذه الصفات منها ما هو حسّيٌّ - مثل حلاوة الحديث وجمال الصوت وصفاء الجبين ووضاءة الوجه - ومنها ما هو معنويّ - كالأخلاق الحميدة التي يحبها الجميع، والرأي الصائب، والذكاء الحادّ - أما جمالها القُدُسِيّ فصفة تجمع بين الحسيّة والمعنويّة، فللجمال جانبه المحسوس - ربما بأكثر من حاسّة - ومع ذلك فهو (جمال قدسيّ) والقُدُسِيّ هو الطاهر، نسبة إلى القدس وهو الطهر، وهو صفة لها طابعها المعنوي.

فإذا انتهى إلى هذا الحدِّ من عظمة صفاتها عاد - فجأة - إلى الواقع، واقع الموت والفناء والذي قضى على كلّ هذه الصفات، الحسّيّ منها والمعنوي، وقد واراها جميعها الترابُ على نحو لا يكاد يُصدق، بسبب فداحة الخسارة، فإذا به يتساءل تساؤلَ المصدوم المتشكك، وهو سؤال بغير أداة دلّ عليه مانتصوّرُه من طريقة إلقائه، وما تحمله من استفظاع الخسارة، وجسامة النقدْ: كلُّ هذا في التراب؟!

يحمل السؤال في طيّاته - إلى جانب الشعور بفداحة الخطب - ما يشبه التعجّبَ، وعدم التصديق، بل ما يشبه الاحتجاج والغضب، إلى كثير من الألم، مما أفضى إلى صيحةٍ حملها الجزء المكمل للسؤال السابق، وإذا كان السؤال هو: كلّ هذا في التراب؟ فقد حمل الجزء المكمل صيحةً هي من قبيل الإجابة، تقول: آه من هذا التراب! و(آه) هذه كلمة تقال عند الشكاية أو التوجع، وهي وإن حملتْ معنى الألم، وربما التسليم بما وقع، يحمل إلى جانب ذلك، بمساعدة السياق الذي وردت فيه، معنى التحدّي للموت، الذي لن يستطيع أن يطمس آيات مَيّ أو سيرتَها، وما أبدعت في حياتها، وما خلّفته من آثار.

ويدرك الشاعر أن التراب لنْ يردّ ماغيّبه في جوفه، وأن من العبث أنْ يأمُل أحد في ذلك، ومع هذا لا تفارقه روح التحدّي وهو يخاطب التراب، فهذا التراب، وإن وارى مِنْ مَيٍّ جسدها.. غيرُ قادر على أن يحجب مآثرها وفضلها وإبداعاتها التي لاسلطان له عليها، ولا قدرة له على إخفائها أو حجبْها لأنها فوق سلطانه وأكبر من قدرته.

التعليق

يلاحظ أن المقطوعات الأربع التي يتألف منها النصّ تتماسك بقوّة على المستويين اللفظي والمعنويّ؛ فعلى المستوى اللفظي يتوزّع عدد من الأساليب وبخاصة الإنشائيّةُ – على مساحة النصّ، فتُشيعُ الإحساسَ بتماسُكِ أجزائه. من هذه الأساليب الاستفهام والأمر.

أما الاستفهام فيُلاحظ وروده بكثرة، كما أنه تُختَتَمُ به المقطوعاتُ الثلاثُ الأولى، حيث يتكرّرُ ورودُ أداة السؤال عن المكان (أين)، وهناك أداةٌ أخرى للاستفهام هي (هلْ) جاءتْ مرةً واحدة في الشطر السابع، كما جاء الاستفهام بغير أداة في نهاية المقطوعة الثالثة.

وأما الأمر فقد جاء في أوّل المقطوعة الثانية على نحو لا ينفصل عن الاستفهام (سائلوا النخبة من رهط النديّ.. أين ميّ.. هل علمتم أين مي) كما جاء بصيغة غير شائعة في أول المقطوعة الأخيرة – صيغة اسم فعل أمر (وَىْ).

وعلى المستوى المعنوي جاء النصّ متماسكًا تُسْلِمُ بدايتُه إلى الانتقالات التي عَبَرَ خِلالَها إلى نهايته. في البداية – وفي المقطوعتيْن الأوليْن خاصة – تعبّر مواضع الاستفهام المتابعة، التي تكرّر بعضُها بألفاظه غير مرة (أين في المحفل ميّ؟ ، أين ميّ؟ ، أين وليّ؟ ، أين غاب؟).. تعبّر هذه (الاستفهامات) عن صدمة الشاعر بمفاجأة الفقد لتلك الأدبية الذائعة الصّيت، فراح يتساءلُ وكأنه غير مصدق، أو كأنه لا يستوعب أن تُخلِفَ عادتها في احتلال صدر المجلس في منتداها والتحدث إلى روّاده من صفوة الأدباء والمثقفين.

ويأتي السؤال في البداية بـ (أين) متبوعةً باسمها (أين ميّ) وكأنه لا يتصوّر موتَها، وإنما يسأل عن مكان وجودها فحسب؛ ثم يتغيّر التابع بعد (أين) فإذا به يقول: (أين وليّ كوكباه؟! أين غاب؟!) بمعنى: أين ولّتْ وأين غابتْ.

وتعمل دلالة الفعل (وليّ، غاب) بعد (أين) عملها ليتحوّل الاستفهام من السؤال عن غيابٍ مطلق إلى سؤال عن رحيل إلى نهاية حزينة محتومة، ونهايةٍ لم تعصمها منها كلُّ صفاتها الحميدة من خُلقٍ وفصاحة وذكاء وجمال.. ليصيح الشاعر متسائلا – في الظاهر – ومؤكّدًا – في الواقع – هذه النهاية المؤلمة (كلّ هذا في التراب؟)، ثم ليُتبعَ هذه الصيحة صيحة التساؤل التعجبي الإنكار الرافض – بصيحة أخرى تحمل إقرارًا وتسليمًا بالحقيقة الصادمة، وتحمل – في الوقت ذاته – شكوى من هذه الحقيقة (آه.. من هذا التراب).

و(آه) كلمة تعبّر عن الشكوى والتوجّع من أمر مؤلم فظيع هو – في هذا النصّ – الموت الذي يأتي على كلّ شيء، ولايفلت منه شيء، هذه الصيحة – صيحة الشكوى والتوجّع – تُصوِّرُ الضعف والإقرار بالهزيمة وتحمل في ثناياها، أو يتولّد منها روح من المقاومة والثورة

ويتطوّر الموقف في المقطوعة الأخيرة إلى استخدام اسم فعل الأمر (وَىْ) الذي يحمل معاني متعددة ومتداخلة من التعجُّب والزجر والتهديد أيضًا، وكلها معانٍ موجهة إلى هذا التراب الذي يرى لنفسه القدرة على مواصلة انتهاب النفوس والأعمار (وَيْك.. ما أنت برادٍّ ما لديك!؟) ناسيًا أن مجد مي (غير موكول إليه)، ولا هو مما يستطيع أن يُغنيه أو يحجبه.

هكذا تتدرّج بنية الدلالة الشعرية من صدمة المفاجأة بالفقْد إلى التحسّر على الفقيدة والتوجّع لخسارتها، باستخدام الصيغة الدالة للتعبير عن هذا الإحساس.. إلى الثورة على الموت، ثم تحديه والتأكيد على خلود الأدبية الكبيرة.

ثم جاءت الصور لتعكس مدى الألم لفقدان مي، من خلال ذكر محاسنها ومنزلتها، فمن الصور: "عرشها المنبر" والذي يوحي بما كانت عليه من مكانة، و"ذكاء كالشهاب" والذي يوحي بما كانت عليه من ذكاء، و"ثيم غر" و"رضيات عذاب" و"جمال قدسي" و"كل هذا في التراب" نلاحظ أن الصور جاءت في موضعها غير متكلفة تعكس حسرة الشاعر وألمه.

وقد نوع العقاد في قافية القصيدة وهو مظهر من مظاهر التطوير في موسيقاها، وقد اختار قافيته ملاءمة للحالة النفسية.

ويتضح لنا الترابط الواضح والبنية المتماسكة، والناجمة عن وحدة الفكر ووحدة الشعور والجو النفسي الحزين، مما حقق للقصيدة الوحدة الفنية.

تدريبات وأنشطة

١- استمع للنص ثم أجب عن الأسئلة التالية :

أ- إلى أى مدى يرتبط عنوان النص بمضمونه ؟

ب- اقترح ثلاثة عناوين للنص .

ج- إلى أى غرض شعرى ينتمى هذا النص ؟

٢- تحدث عن دور الأدبية مى فى الحياة الثقافية فى مصر كما فهمت من النص مراعيًا ما يلى :

- السلامة اللغوية
- تنوع الأساليب
- توظيف الصور الخيالية والمحسنات البديعية .

٣- اقرأ النص قراءة صامتة ثم أجب عن الأسئلة التالية :

أ- اطرح سؤالا حول كل فكرة رئيسة فى النص

ب- إلى أى مدى نجح الشاعر فى التعبير عن حزنه لفقد الأدبية مى ؟ دلل

ج- ما الفكر الأساسية في النص ؟

د- ما الخصائص الأسلوبية للشاعر كما تجلت فى النص ؟

ه- ما أثر البيئة فى النص؟

٤- ـ اقرأ ثم أجب :

سائِلُوا النُّخبةَ من رَهْطِ النَّدِىّ

أينَ مىٌّ؟ هل علِمتُمْ أينَ مىْ؟

الحديثُ الحلوُ واللَّحْنُ الشَّجِىْ

والجبينُ الحرُّ والوجْهُ السَّنِىْ

أينَ وَلّى كوكبَاهُ؟ أينَ غَابْ؟!

أ- هات معنى " النخبة" ومضاد " السنى" فى جملتين من إنشائك.

ب- ما الغرض من الاستفهام فى الأبيات ؟

ج- الشاعر شديد التأثر لفقد مى ..دلل على ذلك من خلال فهمك للأبيات .

د- استخرج من الأبيات :

- أسلوب أمر وبين الغرض منه.
- صورة بيانية مبينا نوعها وقيمتها الفنية.

٥- ابحث عن قصيدة العقاد فى رثاء حافظ وقارن بينها وبين قصيدة العقاد فى رثاء مى من حيث :

- العاطفة
- الفكر
- الأساليب
- التصوير
- الألفاظ والتراكيب

٦- اكتب تحليلا نقديا للقصيدة في ضوء التجربة الشعرية فى ثلاث صفحات واعرضه على معلمك وزملائك .

أهواك يا وطني

محمود حسن إسماعيل

الأهداف :

يتوقع بعد انتهاء الدرس أن يكون الطالب قادرًا على أن:

* يعبر عن رأيه فى المعانى المسموعة بلباقة.
* يوظف الأمثلة و الشواهد والأدلة فى حديثه.
* يستخدم الصور الكلية والجزئية والمحسنات البديعية فى حديثه.
* يوظف الأساليب البلاغية فى تعبيراته.
* يميز الخصائص التركيبية فى النص.
* يقترح أكثر من عنوان للنص.
* يلقى النص من الذاكره.
* يستنبط عناصر البناء الفنى فى النص.
* يستنتج سمات البيئة من النص.
* يحلل النص فى ضوء التجربة الشعرية.
* يكتب بحثا مراعيا شروط الكتابة شكلاً ومضمونا.

نص من مدرسة أبولوّ:

أهواكَ ياوطنى

يا كلَّ ماتِروى به شَفَةُ الهَوَى فِتَنى

يا كلَّ لحنٍ فى لَهَاةِ الطَّيْرِ[1] أعْزِفُهُ ويعْزِفُنى

يا كلَّ صَفْقٍ بيْن مَوْجِ النّهرِ أسمعُه يُناغِمُنى ويُطرِبُنى

يا كلَّ شَدْوٍ منْ خُطا الرُّعيانِ[2] فوقَ العُشْبِ يَسْحَرُنى

ياصخرةً وَهَنَتْ[3] رياحُ الدَّهرِ، وَهْى - الدّهْرَ - لَمْ تَهِنِ

أهواكَ ياوطَنى

أهواكَ، أنت هَوَاى أهْوَاهُ وأعشقه*

ونَشيدِىَ الغالى مَدَى الدُّنيا أردِّدُهُ

مَنْ لِلهلالِ يَهِلُّ[4] مَسْجِدُهُ؟

مَنْ للصّليبِ يُطلّ معبدُهُ؟

---

(١) لهاة الطير: اللَّهاةُ من كل ذي حَلْق: اللّحمة المُشرفة على الحلق، وهي هَنَةٌ في أقصى سقف الفم (ج) لَهَواتٌ، ولَهًا.

(٢) الرُّعيان جمع (الرّاعي) وهو مَنْ يحفظ الماشية ويرعاها.

(٣) وَهَنَتْ : ضَعُفَتْ

* في الأصل: أعبده

(٤) يَهِلُّ: يظهر

مَنْ للجمال رُباكَ مَوْرِدُهُ[1]؟

السِّحْرُ فيكَ ... السِّحْرُ يَنْشُدُه

والحبُّ فيكَ بكلِّ خافقةٍ تجدِّدُهُ

مهما اسْتَبَدَّ الليلُ[2] ياوطنى

بكَ أنت ــ كالرُّؤْيا ــ نُبدِّدُهُ

بهواكَ، بالشُّطآن، بالأزْهارِ، بالأعمار

مثلَ النّارِ نحصُدُه

بنسيمِكَ[3] الهافِي نُمزِّقه

وبموجِك الصّافى نحرّقُهُ

وبكلِّ طيْر فوقَ رابيةٍ[4] بالحبّ نَغْمَتُهُ تُعَطِّرُنى

وبكلّ لفٍّ[5] أوْقدتْ[6] مِصباحَها قبَسًا أمَام خُطاكْ

وبكلّ خَطْو يغرِسُ الآمالَ صاعدةً لشمْسِ عُلاكْ

وبكلّ شىءٍ فوقَ أرضِكَ، تحْتَ ظِلِّ سَماكْ

بالناس، بالآجال، ياوطنى

بتردُّدِ الأنفاسِ، بالزّمَن

---

(١) موردهُ : المورِدُ، المَنْهل، والمورد، مصدر الرزق (ج) موارِد.

(٢) استبدَّ الليل: اشتد ظلم الاستعمار .

(٣) بنسيمك: النّسيم: الرّيح اللّيّنة لا تُحرّك شجر أو لا تُعفّى أثرًا (ج) نسائم.

(٤) رابية، الرّابية: مارتفع من الأرض (ج) رَوابٍ.

(٥) لفّ: اللّفُّ ـ حديقةٌ لَفٌّ : مُلتفّة

(٦) أوقدتْ: أشعلتْ

بزغاردِ الأعراسِ، بالكفَنِ
مهما تمادَى اللّيلُ... نحصُدُه
وبكلِّ عَضَيْنَا... نبدِّدُهُ
ونردُّ فجرَكَ مِنْ يَدِ المِحَنِ
متألِّقًا، كالشَّمسِ فوْق الكَوْنِ.. ياوَطنِى

الشاعر:

محمود حسن إسماعيل (١٩١٠ ـــــ ١٩٧٧)

شاعر مصرى شعره فى مرحلته المبكرة بنشأته الريفية وحبه للريف، على نحو مايبدو من ديوانه (أغانى الكوخ) الذى عرف به فأصبح يقال: شاعر الكوخ.

برزت شخصيته الشعرية منذ وقت مبكر وأسهم فى التنويع فى أوزان الشعر وموسيقاه، تتميز صوره الشعرية بالأبعاد فى المجاز، وتراكب الاستعارات وغرابتها فى كثير من الأحيان.. وإن خفف من أثر هذا الأسلوب قوة إحساسه وحرارة عاطفته نحو مايتحدث عنه من موضوعات.

صدر له عدد كبير من الدواوين، من أشهرها: أغانى الكوخ، وهكذا أغنى، وقاب قوسين، ونهر الحقيقة الذى اخترنا منه هذا النص.

الدراســـة

للنظرةِ الأولى لايبدُو الوطنُ فى نصّ محمود حسن إسماعيل قطعةً من الأرض لها حدودٌ معروفة يمكنُ الحديثُ عنها.. الوطنُ فى النصّ وجودٌ حىٌّ، أو عَالَمٌ حىٌّ يملأ وِجْدانَ الشّاعرِ، زاخرٌ بالحياة والحركة، ونَبْضِ الكائنات على اختلافِ مراتبها..

ولننظر إلى كلمة (كلّ) تسبقُها أداةُ النّداء وتتلُوها مفرداتٌ تشيرُ إلى مُسمَّياتٍ من عالم الأصوات غالبا (لَحْن، صَفْق، شدو)، وهى إلى جانب هذا تحمل دلالاتٍ سارّة؛ فاللّحن، وصَفْق والشَّدْوُ كلّها مما يبعث على السرور، ليس بحكم دلالاتها فحسب، وإنما بطبيعة مصادرها، فاللحن صادر عن هَوَات الطّيْر، والصّفْق صادرٌ عن الأمواج والشّدْوُ صادر عن خُطا الرُّعيان فوْق العُشب..

ومرة أخرى ليس هذا فحسب.. وإنما هناك البُعْدُ الكمىّ الذى أضفَتْهُ كلمةُ (كلّ) على مقدار السّرور والنّشوة التى تُحيطُ بالشّاعر وتغمُرُهُ وتعمّقُ من إحساسه بها .. إنه يتحدث عن (كلّ لحن..) و(كل ضَفّق) و(كل شَدْو) ـــ هذا العُموم الذى تُفيده كلمة(كلّ) مضافةً إلى عدد من بواعث السرور والنشوة فى الكون ـــ اللحن، ضَفْق الموج، الشَّدْو ـــ هذا العموم يفوقه أضعافًا ماتحملُه الكلمةُ نفسُها (كلّ محلّ) عِندَ وُرُودِها لأول مرة فى النصّ، إذ جاءتْ مضافةً إلى (ماتروى به شفةُ الهوَى فِتَنَ الشّاعر) أى آماله وطموحاته وأشواقه.. ليصبح البيت الأول هو بجمع النص.. ومنطلق المعنى فيه، فوطنه هو كلّ شيء يتمنّاه، أيًا كانت تفاصيلُ هذا المُتَمَنَّى..، ففى الوطن الجمالُ بكل ألوانِه وأشكالِه، فيه (السَّخرُ والحبُّ) بل إنه هو منبع السَّخر، ومصدر الحبّ الذى تخفقُ به كلُّ قلوب أبنائه وفيه التسامُح، (المسجد) إلى جِوار (الكنيسة)، (والهلالُ) إلى جانب (الصّليب)، وأبناءُ الوطنِ الواحدِ يجمعُهم حبُّ الوطن والاستعدادُ لحمايته والدّفاع عنه. مهما تكن التحدّيات والصّعاب، ومهما تشتدّ المحن، وقد عبّر عنها بكلمة (اللّيل) مع وعْد بتبديد هذا (الليل) مهما تكن قوتُه وبَطشُه، فلابدّ منْ كشْفه وإزاحته بكل إمكانات الوطن وكلّ ماحوتْه أرضُه وجوُّه من هواء وماء وأزهار، بل وبأعمار أهله.. الجميع يصير ـ عند التحدى ـ نارًا تأتى على هذه الشّدّة ـ الليل ـ وكأنها حلم مُزْعج يجب الخلاصُ ـ أو الإفاقة ـ منه والانتصار عليه بكل وسيلة وبأية وسيلة .

ووسائل المقاومة أو الرفض ليست مقصورة ـــ كما قد يتصوّر البعض ـــ على السلاح خاصة حين يتعلّق الأمر بحب الوطن والدفاع عنه.. ففى هذه الحالة تصبح حماية الوطن والدفاعُ عنه ـــ بكل وسيلة ممكنة ـــ فرضًا على كل ماينتمى إلى هذا الوطن وكل من ينتمى إليه، ولايملّ الشاعر من تكرار هذا المعنى ولا من تكرار الصُّورَ للتعبير عنه .. هذا الليلُ الذى يريد أن يُطبق على الوطن .. ستُمزّقه نسائِم هوائه، وسَيَحْرقُه موجُ مائه وسيُقاومه الطّيرُ المُرَدّدُ لنغماتِ الحبّ فوق روابيه .. ستُقاومه كلُّ الأيدى التى تسعى لتُنِيرَ طريقَ التقدّم أمام الوطن، وكلُّ من يبعث الآمالَ فى نفوس أبنائه.

باختصار سيقاوم الليلَ ـــ أو المحنَ التى تحاصرُ الوطنَ ـــ كلُّ من حملته أرضُه أو أظلّتْهُ سماؤُه .. البَشَرُ فى كلّ حالاتهم .. أفراحهم وأتْراحهم .. بداياتهم ونهاياتهم الأنفاس التى تتردّد فى صدورهم، فبكل ذلك تعظم قوة الوطن ويشقّ طريقَه نحو مستقبله ويتَزع حقّه فى وجودٍ حرٍّ عزيز، أو ـــ كما يقول الشاعر ـ ينتزع (فجره) المتألق من يد (الليل) مهما امتدّتْ ظلمتُه وطال أمدُه.

يلاحظ قارئُ النصّ أنه يدورُ حولَ محورين رئيسيّين هما محورُ الحبّ ـــ حبّ الوطن ـــ ومحور الفداء والتضحية فى سبيله ومن أجله.

فى إطار الحب يأتى الحديث عن الطبيعة، خاصة طبيعة الريف: غناء الطيور وصوت المزمار وتستمر الزراعة، ويأتى الحديث عن جمال الوطن وسحره الفائق، كما يأتى الحديث عن تآلف أهله وطيبتهم. ويفصح الشاعر عن هذا الحب بدءًا من الكلمات الأولى التى تحمل الاعتراف صريحًا بهذا الحب (أهواكَ ياوطنى) وهى الجملة التى تكررت فى النص بنفس تركيبها أو ببعض مفرداتها مع شىء من التنويع يزيدُ من عمق هذا الحب.

وفى غمرة حديث الحب ـــ وفى القلب منه ـــ يلتفتُ الشاعر إلى مايتعرّضُ له الوطن من تحديات يقف فى مواجهتها صامدًا فتبوءُ جميعُها بالفشلِ والهزيمة، فيخاطبُ الوطنَ قائلا:

ياصخرةً وهنتْ رياحُ الدَّهر وَهْىَ ـــ الدهرَ ـــ لم تَهِن

ليعود بعد هذه الصيحة إلى حديث الحُبّ الذى يبلغ ذروتَه بقوله:

والحبّ فيك بكل خافقة تجدده

ليتذكر مرة أخرى ظروف الوطن والتحديات والمخاطر التى تحيط به..

وهنا يجىء حديث العهد بالفداء والتضحية فى سبيله (مهما استبد الليل ياوطنى .... نبدده) وهو حديث يعيدنا إلى الحديث الأول عن (صخرة الوطن) التى انكسرت عليها (رياح الدهر) كما ينقُلُنا فى الوقت نفسه إلى حديث العَهْد بالتضحية والفداء.. ليتحوّل كلُّ مافى الوطن : أرضه وسمائه ومابينهما من مخلوقات ـــ بشر- وغير بشر ـــ ماء وهواء ونبات وغيرها .. ثمنا لحرية الوطن والحفاظ على كرامته.

التعلـــــيق

يزخر النص ـــ ككثير من شعر (محمود حسن إسماعيل) ـــ بالكثير من الصور التى تتتابع فى كثافة عالية تحمل على القول بأنه يستخدم لغة خاصة تحفل بالإفراط فى التجوز والإبعاد فيه، فجاءت صوره فى غير قليل من المواضع كثيفة ومتداخلةٍ على سبيلِ التمثيل نجد عنده فى هذا النص:

(شفة الهوى التى تروى فتنَ الشاعر) وتشبع أشواقه.

(اللحن الذى يعزف الشاعِرَ) ويعزِفُه الشاعر.

وصفق الموج الذى يطرب الشاعرَ و(يناغِمُه)

وصوت خطا الرُّعيان فوق العشب يصبح (شدوا يسحَرُ الشاعر).

وبينما تُشَبَّهُ التحديات التى يتعرّض لها الوطن بالرياح العاصفة (رياح الدهر) يُشَبَّهُ الوطن بـ(الصخرة) التى لم تَهِن ـ أى لم تضعف ولم تتأثر ـ بهذه الرياح.

وجاء التعبير عن الإسلام برمز الهلال

وجاء التعبير عن المسيحية برمز الصليب.

وعنده السحرُ الذى يَنشُدُ ـ أى يطلب السحر من سحر الوطن.

وعنده استعارة (الليل) للمحن والشدائد و التحديات التى تهدد الوطن.

ثم وصف الليل بـ(الاستبداد) و التجّبر.

ووصفه بأنه(يُمزّق) و(يُحرّق) ، وكأنه شىء مادىٌّ قابل للتمزيق والإحراق.

ويشّبه عزيمة أبناء الوطن بالنار التى تكشف ظلمة الليل.

ونغمة الطير(تعطّر الشاعر)، والمفروض أنّ النغمة تَلَذُّ فى سمعه، ولكنه عبّر عمّا تلذّه حاسة السمع بما تلذُّه حاسة الشم.

وَجَعَل الوطنَ كائنا حيا يحرّك خطاه على طريق تقدمه.

وَجَعَل الآمالَ نبتًا يُغرس على طريق تقدم الوطن.

وَوَصَف الخَطْوَ ـ أو نسَبَ إليه ـ أنه يغرس هذه الآمال.

ووصف الليل بأنها كائن (يتهادى) وبأنه شىء (يُحصد) و (يُبدّد) كما سمّى التقدّم والتحرّر وقهر التحديات بـ(فجر الوطن) الذى (يُستردّ من يد المحن).

كما نوع الشاعر في موسيقا القصيدة فجاءت ساحرة فيها رشاقة موحية بالحب والسعادة والتفاؤل، كذلك القافية وما تنشره من عبق الحب والأمل لهذا الوطن.

كما تحققت الوحدة الفنية للقصيدة، وحدة الموضوع إذ يدور حول حب الشاعر للوطن وذكرياته الجميلة، ووحدة الجو النفسي المتمثلة في العاطفة الجياشة لهذا الحب.

تدريبات وأنشطة

١- استمع للنص ثم أجب عن الأسئلة التالية:

أ- مامدى ارتباط عنوان النص بمضمونه؟

ب- حدد الغرض من النص؟

ج- لماذا يحب الشاعر وطنه.

د- ماذا أعجبك فى النص؟

٢- تحدث عن دورك فى بناء وطنك مراعيا مايلى:

- توظيف الأمثلة والشواهد والأدلة.
- توظيف الأساليب البلاغية.
- استخدام الصور الكلية والجزئية والمحسنات البديعية.

٣- ـ اقرأ النص قراءة صامته ثم أجب عمايلى:

أ- مامدى تأثر الشاعر بنشأته فى الريف؟

ب- متى برزت شخصية الشاعر الشعرية؟

ج- بم تتميز صور الشاعر الشعرية؟

د- للوطن مفهوم خاص عند الشاعر، وضح ذلك من خلال فهمك للنص.

ه- اقترح أكثر من عنوان للنص.

و- يدور النص حول محورين اثنين اذكرهما.

ز- برزت فى النص سمات مدرسة (أبولو). وضح ذلك.

ح- استخرج من النص الصور الخيالية والمحسنات البديعية والاساليب واعرضها على معلمك وزملائك.

٤- اقرأ ثم أجب:

أهواكَ ياوطنى

يا كلَّ ماتروى به شفةُ الهوَى فتنى

يا كلَّ لحنٍ فى لَهاةِ الطيرِ أعرِفُهُ ويعرِفُنى

يا كلَّ صَفْقٍ بين مَوْجِ النهرِ أسمعُه يُناغِمُنى ويُطرِبُنى

يا كلَّ شَدْوٍ منْ خُطا الرُّعيانِ فوقَ العُشْبِ يَسْحَرُنى

ياصخرةً وَهَنَتْ رياحُ الدَّهرِ وَهْىَ ـــ الدَّهْرَ ـــ لَمْ تَهِنِ

أ- هات معنى "لهاة" ومضاد "وهنت" ومفرد " الرعيان" فى ثلاث جمل من إنشائك.

ب- مادلالة الكلمات التالية فى سياقها:

(كل لحن ـــ صفق ـــ شدو)؟

ج- عبر الشاعر فى الأبيات عن سعادته بوطنه . وضح ذلك.

د- تزخر الأبيات بكثير من الصور الخيالية، وضح ذلك.

٥- برزت فى النص بعض ملامح المدرسة الرومانتيكية وضح ذلك.

٦- اكتب بحثًا نقديا عن القصيدة مراعيا قواعد الكتابة البحثية.

٤- اقرأ ثم أجب:

أهواكَ ياوطنى

يا كلَّ ماتروى به شَفَةُ الهَوَى فتنى

يا كلَّ لحنٍ فى لَهاةِ الطّيْرِ أعْزِفُهُ ويعْزِفُنى

يا كلَّ صَفْقٍ بيْن مَوْجِ النّهرِ أسمعُه يُناغِمُنى ويُطرِبُنى

يا كلَّ شَدْوٍ منْ خُطا الرُّعيانِ فوقَ العُشْبِ يَسْحَرُنى

ياصخرةً وَهَنَتْ رياحُ الدَّهرِ وَهْىَ ـــ الدَّهْرَ ـــ لَمْ تَهِنِ

أ- هات معنى "لهاة" ومضاد "وهنت" ومفرد " الرعيان" فى ثلاث جمل من إنشائك.

ب- مادلالة الكلمات التالية فى سياقها:

(كل لحن ـــ صفق ـــ شدو)؟

ج- عبر الشاعر فى الأبيات عن سعادته بوطنه . وضح ذلك.

د- تزخر الأبيات بكثير من الصور الخيالية، وضح ذلك.

٥- برزت فى النص بعض ملامح المدرسة الرومانتيكية وضح ذلك.

٦- اكتب بحثًا نقديا عن القصيدة مراعيا قواعد الكتابة البحثية.

من أنت يا نفسي

لميخائيل نعيمة

الأهداف :

يتوقع من الطالب فى نهاية الدرس قادرًا على أن:

* يحدد الفروق الدقيقة بين معاني كلمات استمع إليها
* يحدد علاقة المجاز بالمعنى
* يوظف الأمثلة والشواهد والأدلة في حديثه.
* يستخدم أدوات الربط .
* يراعى السلامة اللغوية وجمال الأسلوبَ فى حديثه
* يحدد الصور الكلية والجزئية والمحسنات الواردة في النص.
* يستنتج غرض النصّ
* يحدد الفكر الرئيسة التي اشتملت عليها القصيدة .
* يقترح ثلاثة عناوين للنص مع التعليل
* يحلّل المقطوعة الشعرية فى ضوء التجربة الشعرية.
* يكتب موضوعًا معبرًا عن فكره وآرائه.

نص من شعراء المُهَاجَر :

(١)

إن رأيتِ البحرَ يطغى الموجُ فيه ويثور
أوسَمِعْتِ البحر يبكي عند أقدام الصخورْ
تَرقُبي الموجَ إلى أنْ يحبِسَ الموجُ هديرهْ
وتُناجي البحرَ حتى يسمعَ البحرُ زفيرَه
راجعًا منكِ إليهْ
هل مِن الأمواج جئتِ؟

.....

إن سمعتِ الرعدَ يَدْوِي بين طيَّات الغمامْ
أو رأيتِ البرقَ يَفْرِي سيفُهُ جيشَ الظلامْ
تَرْصُدِي البرقَ إلى أن تَخْطَفِي منه لظاه
ويَكُفَّ الرعدُ لكن تاركًا فيكِ صداه
هل من البرق انفصلتِ؟
أم مع الرعد انحدرتِ؟

.....

إن رأيت الريح تَذرِي الثلجَ عن رُوسِ الجبالْ
أو سمعت الريح تَعوِي في الدجي بين التلالْ
تَسْكُن الريحُ وتَبْقَىْ باشتياقٍ صاغيهْ
وأناديكِ ولكنْ أنتِ عني قاصيه
في محيط لا أراه
هل من الريح وُلِدتِ؟

.....

إن رأيت الفجر يمشي خِلسةً بين النجومْ
ويُوشِّي جُبَّةَ الليل المُولِّي بالرسومْ
يَسْمع الفجرُ ابتهالًا صاعدًا منك إليهْ
وتَحَرِّي كَنَبِيٍّ هبط الوحي عليهْ
بخشوع جاثيه
هل من الفجر انبثقتِ؟

.....

إن رأيت الشمس في حِضْنِ المياه الزاخره
ترمقُ الأَرضَ وما فيها بعين ساحره
تَهْجَع الشمسُ وقلبي يشتهي لو تهجعينْ
وتنام الأرض لكنْ أنت يقظى ترقبين
مضجعَ الشمس البعيدْ
هل من الشمس هبطتِ؟

.....

إن سمعتِ البلبلَ الصداحَ بين اليَاسَمِينْ
يسكبُ الأَلحانَ نارًا في قلوبِ العاشقينْ
تلتظِي حزنًا وشوقًا، والهوى عنك بعيدْ
فأخْبِرِيني، هل غِنا البلبلِ في الليلِ يُعيدْ
ذكرَ ماضيك إليكِ؟

هل من الألحان أنتِ؟
إيهِ نفسي! أنتِ لحنٌ فيَّ قد رنَّ صداه
وقعتْكِ يدُ خلَّاقٍ بديعٍ لا أراه!*
أنت ريح ونسيم، أنت موج، أنت بحر
أنت برق، أنت رعد، أنت ليل، أنت فجر
أنت فيض من إله؟

الشاعر :

ميخائيل نعيمة من شعراء المهاجر، وُلد في بسكنتا بلبنان ١٨٨٩م، وأنهى دراسته المدرسية بها، ثم أتمّ دراسته الجامعية في بولتافيا الأوكرانية (بروسيا القيصرية) ١٩١١م، ثم سافر إلى أمريكا ١٩١١م فدرس الحقوق وحصّل على الجنسية الأمريكية وانضم إلى الرابطة القلمية، ثم عاد إلى بسكنتا ١٩٣٢م وتُوفى بها ١٩٨٨م.

ويُعد نعيمة واحدًا من جيل التنوير الذين قادوُ النهضة الفكرية والثقافية في العصر الحديث، فهو شاعر وقاضي ومسرحي وناقد وكاتب مقال، ألف أكثر من عشرين كتابًا، أبرزها كتاب (الغربال) الذي حاول فيه أن يضع أصولًا جديدة للنقد الأدبي أمّا مجموعته الوحيدة فجمعها في (همس الجفون) باللغة الإنجليزية عرّبها محمد الصايغ ١٩٤٥م.

الدراسة

ربما كان عنوان القصيدة التي نحن بصددها مدخلًا جيدًا إلى تحليلها، فقد جاء بأسلوب الاستفهام الذي يثير الانتباه، ويدعو إلى ترقب الجواب. وهذا الاستفهام نفسه يحمل معنى الحيرة، حيرة الشاعر إزاء قضية من قضايا الوجود الإنساني التي تؤرق فكره وشعوره، وهي قضية تدور حول حقيقة "نفسه"، كما يدل على ذلك تعبيره، إلا أنها بالطبع تمتد لتشمل "النفس" الإنسانية بعامة التي تعد نفس الشاعر فردًا من أفرادها

ويبدو أن هذه الحيرة أمام أسرار الكون، وحقيقة النفس كانت قاسمًا مشتركًا بين شعراء المهاجر، أو بين عدد منهم على الأقل، ولكن حيرة نعيمة قد انقشعت وزالت، وسكنت نفسه، وقر قرارها.

والقصيدة، كما تبدو للمتأمل، مثال واضح على منطقية التصميم، وإحكام التشكيل، فقد توزع موقف الشاعر في حيرته وبحثه عن الجواب على ستة عناصر من الطبيعة يرى نفسه تتجاوب مع كل منها بما يتفق مع طبيعته، وهذه

* في الأصل: وقعتك يد فنان خفي لا أراه!

العناصر هي: البحر، والرعد، والبرق، والريح، والفجر، والشمس، والليل. وكل عنصر من هذه العناصر يشغل مقطعًا شعريًا مستقلًا في تكوينه، لكنه متصل، في الوقت نفسه، ببقية المقاطع اتصالاً ينبع من تجانس أجزاء الموقف، ووحدة التشكيل الشعري، وهكذا تبدو تلك المقاطع أشبه بموجات متوالية على مستوى واحد من القوة، تتلاحق ولا تتداخل، ويعزز بعضها بعضًا حتى تنتهي إلى مصب واحد، وهو المقطع السابع والأخير الذي سنتحدث عنه فيما بعد.

ويرتكز البناء اللغوي في المقاطع الستة جميعًا على أسلوب شرط أداته "إن"، وجزؤه الأول فعلان متعاطفان هما (رأيت)، و(سمعت) يترددان معًا وهو الأغلب، أو يقتصر على أحداهما، وهو قليل. خاصية أخرى في البناء اللغوي تشترك فيها المقاطع الستة، هي انتهاؤها جميعًا بأسلوب استفهام ذي أداة واحدة، هي (هل): (هل من الأمواج جئت؟)، (هل من البرق انفصلت؟)، هل من الريح ولدت؟). (هل من الفجر انبثقت؟)، (هل من الشمس هبطت؟)، (هل من الألحان أنت؟).

ومع أن التجربة الشعرية في القصيدة من قبيل التأمل، الذي يدنو من الفلسفة، أو يقف على حافتها، فقد نجح نعيمة في تقديم الصورة الأساسية في كل مقطع تقديمًا حسيًا، يحفظ لعمله طبيعته الشعرية في تحريك الوجدان واستثارته. فأمواج البحر في المقطع الأول، قد تكون ثائرة صاخبة، وقد تكون هادئة وانية الحركة، تتراجع عند صخور الشاطيء في ضعف وانكسار، فيبدو صوتها شبيهًا بالبكاء، ونفس الشاعر في كلتا الحالتين ترقب ما يجري، ويمتد خيط الاتصال بينها وبين البحر حتة تندمج فيه، ويتردد الزفير بين الطرفين وكأنها خرجت من أمواج هذا البحر، فهي تحن إليه وتناجيه.

ويأتي هذا التقديم الحسي في المقطع الثاني ماثلًا في صوت الرعد القاصف بين السحب المتراكمة، ووميض البرق الخاطف الذي يشبه سيفًا يمرق في جسم الليل المظلم، فيمزقه ويتركه أشلاء متناثرة. وكما تتواصل نفس الشاعر مع البحر في عنفه وضعفه، تتواصل كذلك مع الرعد والبرق، ويطبع كل منهما أثرًا قويًا في حناياها.

ونلمس التقديم الحسي في المقطع الثالث في صورة الريح تهب هبوبًا عنيفًا على قمم الجبال، وبين التلال، فتعصف في الحالة الأولى بما تجمد من ثلوج فوق القمم، وتحليلها ذرات طائرة في الفضاء، وتبدو محاصرة في الحالة الثانية فيبدو صوتها مخيفًا كعواء الذئاب. فهي تصغى إلى حركة الريح، وحين يناديها الشاعر تبتعد عنه ولا يراها؛ لأنها ذابت مع الريح واتحدت بها.

ويبدو التقديم الحسي أكثر وضوحًا في المقطع الرابع حيث يتجسد الفجر في صورة إنسان يختلس الخطا بين نجوم الليل، ويخلع على رداء الليل الحالك وشي أنواره، ومع هذا التقديم الحسي تأتي طائفة من المفردات اللغوية تتآزر معًا، بما لها من إيحاءات في خلق هالة من الروحانية، تتسق بها أطراف الصورة، ويشيع بها جو من العبق الديني. وتلك المفردات هي: (الابتهال)، و(النبي)، و(الوحي)، و(الخشوع). والذي يخص النفس في هذه الصورة، الخشوع والابتهال، فلحظة انبثاق الفجر فرصة للانعتاق من أسر المادة الأرضية، وبلوغ مرحلة الصفاء والنورانية، والدنو من الروح الأعلى.

ويبرز التقديم الحسي في المقطع الخامس في صورة الشمس تلقي بنظراتها الساحرة إلى الأرض، وقد ترامت في أحضان المياه الرقراقة، ومع أن الشمس تعود من حيث طلعت، وتهدأ حركة الأرض وتنام – وهذه صورة حسية أخرى – فإن نفسه لا تسكن، بل تظل معلقة بمغرب الشمس لشعورها بوحدة مصدرهما.

وتتجاوب نفس الشاعر في المقطع السادس مع الألحان والأنغام التي يرمز إليها جميعًا البلبل المغرد بين أغصان الورود، فيطرب ويشجي، ويثير في النفس حنينًا وشوقًا إلى ما ضيها البعيد.

وهكذا يمضي الشاعر مع العناصر السابقة مصورًا تفاعل نفسه مع كل منها، واتحادها به على نحو يجعل من السؤال الذي يطرحه في خاتمة المقطع، نهاية طبيعية.

على أن هذه العناصر في تصويرها الذي قدمه الشاعر في المقاطع السابقة أشبه بخيوط نثرها، ثم عاد ليجمعها، ويمسك بأطرافها في المقطع السابع والأخير، وهو مقطع يؤدي في موضعه، دور لحظة التنوير في القصة القصيرة، في الوقت الذي يضيف فيه لمسة أخرى من اللمسات المنطقية في التصميم وإحكام البناء، فالشاعر فيه يلتفت إلى نفسه مخاطبًا إياها بصيغة تفيد معنى الأمر لها بالاستزادة، وكأنها يقول لها: هاتي مالديك! لقد اكتشفت السر، وعثر على الجواب، فأنت – ومثلك كل نفس إنسانية – نفثة بديع، أنت الريح والنسيم، أنت الموج والبحر، أنت البرق والرعد، أنت الليل والفجر، أنت كل ذلك لأنك فيض الإله الذي فاضت عنه الحياة في سائر مظاهرها وأشكالها

التعليق

وإذا وضعنا القصيدة التي نحن بصددها في سياقها التاريخي، نجد أن الشاعر قد نظمها في عام ١٩١٧م، أي في تلك الفترة التي ترددت فيها أصوات الدعاة من النقاد والشعراء العرب إلى التجديد في الشعر، وقد كان واحدًا من أبرزهم في المهاجر، ومعنى ذلك أنها تحمل ملامح التجديد أو بعضًا منه على الأقل، وذلك واضح في مضمونها

وشكلها على السواء، فهي من حيث المضمون تنزع إلى التأمل والبحث عن أسرار الكون والإنسان، وهو لون من التجارب لم يكن شائعًا بين الشعراء العرب في ذلك الحين، ومن حيث القالب جاءت على النسق المقطعي؛ إذ تتألف من سبعة مقاطع، إلا أن المقاطع الستة الأولى تتماثل في عدد الأبيات، فكل منها يتكون من ستة أبيات، تتساوى الأربعة الأولى منها في عدد تفعيلاتها على حين يكون لكل بيتين متواليين قافية واحدة، فالبيت الأولى والثاني بقافية، والثالث والرابع بقافية أخرى، ومع تساوي البيتين الخامس والسادس في طولهما؛ فإنهما لا يتحدان في القافية دائمًا، إن كان البيت السادس موحد القافية في المقاطع الستة. أما المقطع السابع فهو يتكون من خمسة أبيات فحسب.

ومع ما يبدو من التزام الشاعر بوزن واحد فإن هذا الالتزام لم يكن التزامًا تامًا، فقد تحرر منها إلى حد ما، وأحدث شيئًا من التغيير في التفعيلة الأخيرة في بعض الأبيات.

لعب الخيال في القصيدة دوره فأسهم في إبراز الفكر والشعور وإظهار حالة القلق والحيرة عند الشاعر، فمن التشبيهات: جيش الظلام – أنت برق – أنت رعد – أنت ليل – أنت فجر – أنت فيض.

ومن التصوير الاستعاري: البحر يبكي – أقدام الصخور – يسمع البحر زفيره – الريح تعوي – الفجر يمشي – تنام الأرض ومن الصور المركبة "يسكب الألحان نارًا.

تدريبات وأنشطة

١- استمع إلى الأبيات الآتية ثم أجب:

إنْ رأيتِ البحر يطغى الموجُ فيه ويثُور

أوسمعتِ البحر يبكي عند أقدام الصخور

ترقُبي الموجَ إلى أنْ يحسِ الموج هديره

وتُناجي البحر حتى يسمع البحر زفيرَه

راجعًا منك إليه

هل من الأمواج جنتِ؟

أ- حدّد الفرق في المعنى بين دلالة الفعل (يثور) في العبارتين التاليتين:

-يثُور موج البحر -يثور لكرامته الحرُّ

ب- (إن سمعت البحر يبكي) في العبارة مجاز وضّحه – وبين أثره في المعنى

ج- تحدَّث إلى زملائك عن طبيعة النفس الإنسانية مُوظِّفًا ما يلى :

- الصور الكلية والجزئية والمحسنات الواردة في النص.
- الأمثلة والشواهد والأدلة في النصّ
- السلامة اللغوية وجمال الأسلوبَ

د- الغرض من هذا النصّ (الفخر بالأمجاد – الحكمة – عِتاب الأحباب – الدعوة إلى التأمّل في النفس والكوْن) اختر الصحيح مُعَلِّلًا.

٢- اقرأ النص قراءة صامتة ثم اذكر رأيك في القصيدة مع التعليل لما تقول.

٣- حدد الفكر الرئيسة التي اشتملت عليها القصيدة.

٤- اقترح ثلاثة عناوين للنص مع التعليل.

٥- إن سمعت الرعد يُدوِي بين طيات الغمامْ

أو رأيت البرقَ يفرِي سيفُه جيشَ الظلام

تَرْصُدِي البرقَ إلى تخطفي منه لظاه

ويكفُّ الرعدُ لكن تاركًا فيكِ صداه.

هل من البرق انفصلْتِ؟

أم مع الرعد انحدرتِ؟

أ- ما الفكر الجزئية التي اشتملت عليها الأبيات السابقة؟

ب- انعكس وجدان الشاعر على ألفاظه وعباراته. وضح

ج- استخرج من الأبيات خيالًا وبين نوعه وقيمته الفنية.

د- اعتمد الشاعر في الأبيات على الموسيقى الهادئة التي خرجت على مألوف القصيدة العربية. اشرح

٦- إن رأيت الشمس في حضن المياه الزاخرة

ترمقُ الأرض وما فيها بعين ساحرة

تهجعُ الشمس وقلبي يشتهي لو تهجعينْ

وتنام الأرض لكن أنت يقظى ترقبين

مضجع الشمس البعيد

هل من الشمس هَبَطْتِ؟

يوضح الشكل التالي مكوِّنات التجربة الشعرية، حلِّل المقطوعة الشعرية السابقة إلى أجزائها كما في الشكل:

٧- ابحث في الشبكة الدولية للمعلومات عن قصائد لبعض شعراء المهاجر تتناول الحديث عن النفس الإنسانية، وتخيّر إحداها واعرضها على زملائك ومعلمك.

التكافل الاجتماعي في الإسلام*

أحمد حسن الزيات (بتصرف)**

الأهداف :

يتوقع فى نهاية هذا الدرس أن يكون الطالب قادرًا على أن:

* يحدد الاتجاه الفكرى للمتحدث.
* يميز الخصائص الأسلوبية للمتحدث.
* يصنف الحجج التى يستخدمها المتحدث فى كلامه.
* ينوع لغة الخطاب حسب المقامات والأغراض والمعانى.
* يوظف الظواهر الصوتية فى حديثه.
* يوظف الأساليب البلاغية فى تعبيراته.
* يعيد تنظيم الفكر حسب رؤيته.
* يحدد نوع المقال وخصائصه.
* يستنتج مضامين العمل الأدبى.
* ينقد موضوعًا معبرًا عن فكره وآرائه.
* يستخدم القواعد اللغوية ويوظفها فى كتاباته.
* يكتب بحثًا مراعيًا شروط الكتابة.

"عالج الإسلام الفقرَ علاج من يعلم أنه أصلُ كل داءٍ ومصدر كل شر، وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفعَ أركان الإسلام شأنًا، وأكثرَ أوامره ذكرًا، وأوفر مقاصده عنايةً، ولو ذهبتَ تستقصى ما نزل من الآيات ووردَ من الأحاديث فى الصدقات والبر، لحسبتَ أن رسالة الإسلام لم يَبعثْ بها اللهُ محمدًا آخرَ الدهر إلا لينقذَ الإنسانيةَ من غوائل[1] الفقر وجرائرِ[2] الجوع، وحسبُك أنْ تعلَم أنَّ آىَ الصيام فى الكتاب أربعٌ، وآىَ الحج بضعَ عشرةَ، وآىَ الصلاة لا تبلغُ الثلاثين، أما آىُ الزكاةِ والصدقات فإنها تَرْبو عَلى الخمسين.

كأنما اختار الله لكفاح الفقر أشحَ البلاد طبيعةً وأشدَّ الأُمم فقرًا، ليصرعه فى أمْنعِ حُصُونه وأوْسعِ ميادينه! فإن الفقر إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمتُه فى ريفِ مصرَ وسوادِ العراقِ أسرع وأسهل، ثم اختار الله

* نشر هذا الموضوع تحت عنوان (كيف عالج الإسلام الفقر؟) للكاتب الأستاذ أحمد حسن الزيات.

** من مواليد محافظة الدقهلية ١٨٨٥م، حفظ القرآن الكريم، تعلم في الأزهر الشريف عدة سنوات زميلًا لطه حسين والتحق بالجامعة الأهلية بعد إنشائها عام ١٩٠٨، كما التحق بمدرسة الحقوق الفرنسية وحصل فيها على ليسانس الحقوق. أنشأ مجلة "الرسالة" واختير عضوًا بالمجمع اللغوي وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٩٦١، توفى عام ١٩٦٨.

(١) غوائل: مفردها غائلة وهي الشر والفساد.

(٢) جرائر: مفردها جريرة وهي الجناية والذنب.

رسوله فقيرًا ليكون أظهر لقوته، كما اختاره أميًّا ليكون أبلغ لحجته.

كانت جزيرة العرب إبان الدعوة العظمى مثلاً محزنًا لما يجنيه الفقر على بنى الإنسان من ثضرية[1] الغرائز، وتمزيق العلائق، ومعاناة الغزو، ومكابدة الحرمان، وقتل الأولاد، وفحش الربا، وأكل السُّحت، وتطفيف الكيل، وعنت[2] الكبراء، وأثرة[3] الأغنياء، وفقد الأمن، وانحطاط المرء إلى الدرك الأسفل من حياة البهيم، فلما أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق كانت معجزته الكبرى هذا الكتاب المحكم الذى جعل هذه الأشلاء الدامية جسمًا شديد الأسر عارم القوة، ونسخ[4] هذه النظم الفاسدة بدستور متين القواعد خالد الحكمة؛ ثم كانت بوادر الإصلاح الإلهى أن قلَّم أظفار الفقر، وأسا[5] كلوم[6] الفقراء، وقمع جرائر البؤس، فألف بين القلوب، وآخى بين الناس، وساوى بين الأجناس، وعصم النفوس من القتل الحرام، وطهر الأموال من الربا الفاحش، ثم عالج الداء الأزلى نفسه بما لو أخذ به المصلحون لوقاهم شرور هذه الحروب التى أمضت حياة الناس، وكفاهم أخطاء هذه المذاهب التى قوّضت بناء المجتمع، عالجه بالسفارة[7] بين الغنى والفقير على أساس الاعتراف بحق التملك، والاحتفاظ بحرية التصرّف، فلا يُدفع مالك عن ملكه، ولا يُعارَض حر فى إرادته، إنما جعل للفقير فى مال الغنى حقًا معلومًا لا يكمل دينه إلا بأدائه! ذلك الحق هو الركن الثالث من الأركان الخمسة التى بُنى عليها الإسلام، فلا هو فرع ولا نافلة ولا فضلة.

كذلك عالج الإسلام الفقر من طريق آخر غير طريق الزكاة والصدقات ..، عالجه من طريق الكسر من حدة الشهوة، والكف من سورة الطموح، والغض من إشراف الطمع، فرغب الغنى فى الزهد، وأمر الواجد بالقناعة، ومدح الفقير بالتعفف..

فلو أن كل إنسان أدى حق الله فى ماله، ثم استقاد لأريحية طبعه وكرم نفسه، فأعطى من فضل، وواسى من كفاف، وآثر من قلة؛ لكان ذلك عسيا أن يقر السلام فى الأرض، ويشيع الوئام فى الناس، فتهدأ ضلوع الحاقد، وترقأ دموع البائس، ويسكن جوف الفقير، ويذهب خوف الغنى، ويتذوق الناس فى ظلال الرخاء، سعادة الأرض ونعيم السماء!

---

(١) ثضرية : إثارتها بشدة
(٢) عنت : مكابرة
(٣) أثرة: أنانية
(٤) نسخ: أزال ومحا
(٥) أسى: داوى
(٦) كلوم: مفردها كلم وهو الجرح
(٧) السفارة: المراد هنا: إقامة علاقة بين الغني والفقير

الدراسة والتعليق

هذا النص مقال اجتماعى، كُتب بأسلوب أدبى، وهو يُمثل لاتجاه المحافظين فى النثر، أولئك الذين حافظوا على سلامة الأداء وقوته وأحيوا التراث وتأثروا بأساليب القدماء، ومجدوا الماضى وتغنوا به، ، ويُعد الزيات من المحافظين المجددين كطه حسين والعقاد والمازنى.

والحاصل أن الزيات* يمثل لمذهب أدبى جديد يقوم على دعامتين اثنتين:

الأولى: الإفادة من آثار الفكر الغربى.

الثانية: العودة إلى بلاغة القدماء فى التعبير، والذى اتسم بالإيجاز ورصانة الفواصل وقصرها وجمال اللفظ ووقع مُوسيقاه الساحر.

يتناول النص الفكر التالية :

- بعض الأهداف السامية لرسالة الإسلام.
- أسباب اختيار جزيرة العرب لكفاح الفقر.
- بوادر الإصلاح الإلهى.
- سبل علاج الفقر.
- "عالج الإسلام الفقرَ علاج من يعلم أنه أصلُ كل داءٍ ومصدر كل شر، وقد أوشك هذا العلاج أن يكون - بعد توحيد الله- أرفعَ أركان الإسلام شأنًا، وأكثرَ أوامره ذكرًا، وأوفر مقاصده عنايةً، ولو ذهبتَ تستقصى ما نزل من الآيات ووردَ من الأحاديث فى الصدقات والبر، لحسبتَ أن رسالة الإسلام لم يَبعثْ بها اللهُ محمدًا آخرَ الدهر إلا لينقذَ الإنسانيةَ من غوائل الفقر وجرائرِ الجوع، وحسبُك أنْ تعلَم أنَّ آىَ الصيام فى الكتاب أربعٌ، وآىَ الحج بضعَ عشْرةَ، وآىَ الصلاة لا تبلغُ الثلاثين، أما آىُ الزكاةِ والصدقات فإنها تَربو عَلى الخمسين.

---

* جُمعت مقالات الزيات التي كان يفتتح بها مجلة "الرسالة" فى كتاب بعنوان (وحى الرسالة) ، نال عليه جائزة الدولة عام ١٩٥٣م ، لما تضمنه من مذهب أدبى جديد.

حرص الكاتب من بداية مقاله على تأكيد فكرة النص المحورية. وهى علاج الإسلام للفقر، باستخدام الوسائل اللغوية المتنوعة كالإكثار من صيغ التفضيل (أرفع - أكثر - أوفر).

و الإكثار من الجمل المترادفة و أساليب التوكيد و الاستشهاد بالآيات القرانية و الأحاديث النبوية ، و اللجوء للإحصاء إمعانا فى تأكيد الفكرة .

و نظرا لاقتناع الكاتب بأن الإسلام لديه العلاج الناجع للفقر، فقد جعل من أسمى أهداف رسالة الإسلام إنقاذ الإنسانية من غوائل الفقر وجوائرِ الجوع كما اختار الله الرسول محمدًا ﷺ فقيرًا ليكون أظهر لقوته قياسًا على اختياره أميًا ليكون أبلغ لحجته.

و يمضى الكاتب فى توضيح فكرته والاقناع فيذكر أسباب اختيار الله لكفاح الفقر أشحَ البلاد طبيعةً وأشدَّ الأُمم فقرًا ليصرعه فى أمْنعِ حُصُونِه ؛لأن الفقر إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمته فى غيرها أسهل.

ثم بيَّن أنّ خصالاً ذميمة ورذائل خطيرة، مثل قتل الأولاد، وفُحش الرِّبا وأكل السُّحت وتطفيف الكيل ... مثلت تحدًّيا صارخًا لإفناء العرب، فجاء الإسلام بتشريعاته الجليلة ليحارب هذه الرذائل من ناحية، وليؤلف بين القلوب ويؤاخى بين الناس.. من ناحية، وليأسوا جراح الفقراء بدعوة الأغنياء إلى مساعدتهم، بل إلزامهم بذلك عن طريق فرض الزكاة.. من ناحية ثالثة، وأخيرًا اتجه الإسلام إلى إصلاح النفس البشرية وتطهيرها من الشحَّ والبخل والطمع والجشع، ورغّب فى الغنى والقناعةُ والزهد.

وعلى مستوى التعبير يتسم أسلوب الكاتب بالميل إلى تنسيق المفردات والجمل والعبارات عامة وتوازنها، فالمفرد يقابله المفرد، والجملة تليها الجملة، على نسق تركيبي واحد أو قريب منه، وقد يصل عدد الجمل المتوالية من هذا القبيل إلى ثلاث أو أكثر، وذلك ما يضفي على الأسلوب نوعًا من جمال الإيقاع وحسن التأثير؛ تأمل مثلاً قوله: " كأنما اختار الله لكفاح الفقر أشحّ البلاد طبيعةً وأشدَّ الأُمم فقرًا" فالعبارتان المتقاطعتان تكادان تتساويان أو تتقاربان في عدد الأحرف وفي طريقة بنائها. ومثل ذلك أو قريب منه الجمل الثلاثه التالية "فألف بين القلوب، وآخى بين الناس، وساوى بين الأجناس" وهذا الضرب من التنسيق والتوازن بين الجمل والعبارات يعد من السجع الذي تتنوع أشكاله في البلاغة العربية ولكنه سجع صادر في الأعم الأغلب عن طبع الكاتب وحسه المرهف، وموهبته البيانية الكبيرة وقد ينطوي على بعض ألوان البديع الأخرى مثل الجناس ..

هكذا جاءت ألفاظ الكاتب معبرة وصوره موحية، حتى لنراه يخط بكلماته ما يُبدعه الفنان بريشته، انظر كيف صور الكاتب كفاح الإسلام للفقر بكفاح المجاهدين للأعداء، حيث يلاحقونهم أينما وُجدوا، وذلك فى قوله: "كأنما اختار الله لكفاح الفقر أشحَ البلاد طبيعةً وأشدَّ الأمم فقرًا؛ ليصرعه فى أمنعِ حُصُونه وأوسعِ ميادينه! فإن الفقر إذا انهزم فى قفار الحجاز كانت هزيمتُه فى ريفِ مصرَ وسوادِ العراقِ أسرع وأسهل".

- كذلك لجأ الكاتب إلى الصور الجزئية:

كالتشبيه البليغ فى قوله: " عالج الإسلام الفقرَ علاج من يعلم أنه أصلُ كل داءٍ ومصدر كل شر". وفيه تشخيص، ويُوحى بإدراك الإسلام التام مشكلات المجتمع وخطر الفقر عليه.

ثم توالت تشبيهاته المبتكرة، مثل قوله: (غوائل الفقر) و (جرائر الجوع)، حيث صور فيها الفقر بالشر والفساد الكبير، وصور الجوع بالجناية العظمى أو الذنب- وسر جمال التشبيه التوضيح، وهو يوحى بفظاعة الفقر وآثاره السيئة.

وانظر إلى الكناية فى قوله (وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله ...) حيث كنى به الكاتب عن مدى اهتمام الإسلام بعلاج الفقر وتطهير المجتمع منه.

كذلك توالت الاستعارات فى تصوير الكاتب فى مقاله، اعتمد فى معظمها على الاستعارة المكنية، مثل قوله (أركان الإسلام) حيث صور الإسلام ببناء عظيم له أركان، وسرّ جمالها التجسيم، ثم عبّر عن هزيمة الفقر، وتقليم أظفاره، وجنايته على الإنسان على سبيل الاستعارة المكنية فى قوله:

- (ليصرعه فى أمنع صوره، وأوسع ميادينه)
- (فإن الفقر إذا انهزم)
- (قلّم أظفار الفقر)
- (لما يجنيه الفقر على بنى الإنسان)

كما لجأ الكاتب إلى الموسيقى الهادئة التى رسمتها الفواصل الجميلة غير المفتعلة مثل الازدواج فى قوله: (تضرية الغرائز، وتمزيق العلائق) وقوله (ومعاناة الغزو ومكابدة الحرمان).

تدريبات وأنشطة

١- استمع إلى النص ثم أجب عن الأسئلة التالية:

أ- وضح الاتجاه الفكرى للكاتب.

ب- ما الخصائص الأسلوبية للكاتب؟

ج- يميل الكاتب إلى استخدام الحجج المنطقية . وضح ذلك معللًا.

٢- تحدث أمام زملائك عن مشكلة الفقر وكيفية علاجها، مراعيا ما يلى:

- التنوع فى لغة الخطاب .
- توظيف الظواهر الصوتية
- توظيف الأساليب البلاغية.

٣- اقرأ ثم أجب :

عالج الإسلام الفقرَ علاج من يعلم أنه أصلُ كل داءٍ ومصدر كل شر، وقد أوشك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفعَ أركان الإسلام شأنًا، وأكثرَ أوامرهُ ذكرًا، وأوفر مقاصده عنايةً، ولو ذهبتَ تستقصى ما نزل من الآيات وردَ من الأحاديث فى الصدقات والبر، لحسبتَ أن رسالة الإسلام لم يَبعثْ بها اللهُ محمدًا آخرَ الدهر إلا لينقذَ الإنسانيةَ من غوائل الفقر وجرائرِ الجوع.

أ- هات معنى "غوائل" – ومفرد "جرائر" فى جملتين من تعبيرك.

ب- كيف عالج الإسلام الفقر كما فهمت من الموضوع؟ دلل على ذلك.

ج- يميل الكاتب إلى استخدام المحسنات البديعية من خلال الفقرة. وضّح.

د- استخرج من الفقرة صورة خيالية وبين نوعها وسر جمالها.

ه- ما أهمية الصدقات والزكاة كما فهمت من الفقرة ؟

٤- بعد قراءتك للموضوع قراءة صامتة أجب عما يلى:

أ- بين نوع المقال.

ب- ما الفكر الرئيسة للموضوع؟

ج- رتب فكر الموضوع حسب رؤيتك فعلا.

د- استنتج خصائص المقال ثم أكمل الشكل التالى:

الفكر	.....
المعانى	.....
التصوير	.....
الأسلوب	.....
الموسيقا	.....
العبارات	.....

٥- ما أهم المضامين التى اشتمل عليها المقال ؟

٦- أكمل الشكل التالى:

أعجبنى فى النص	التعليل	لم يعجبنى فى النص	التعليل
.....	.....	.....	.....
.....	.....	.....	.....
.....	.....	.....	.....
.....	.....	.....	.....

٧- اكتب بحثًا عن أهم مشكلة فى مجتمعك مقترحًا الحلول.

لمحات من حياة العقاد

الأهداف :

يتوقع من الطالب فى نهاية الدرس أن يكون قادرًا على أن:

* يحدد الفكر الرئيسة فيما استمع إليه
* يتحدث عن نشأة العقاد
* يتعرف نشأة العقاد وتاريخه .
* يرصد أثر البيئة على الإنسان ممثلاً فى أثر أسوان على العقاد .
* يحلل أسلوب العقاد فى كتابته .
* يستنتج مواطن القدوة فى شخصيته العقاد
* يكتب بحثًا عن أهمية القراءة .

نعمات أحمد فؤاد(*)

ولد العقاد فى ٢٨ يونيو عام ١٨٨٩م بمدينة أسوان لأبوين عُرفا بحبِّ العزلة وطول الصمت والتُقى، فقد كانت أمه بالغة الذكاء، وهى دءوبٌ ولوعٌ[1] بالنظافة حريصةٌ عليها. أما والده فقد كان على رزانة فيه، يؤدى عمله فى جد وذكاء، وكان أمينَ المحفوظات بأسوان .

وفى أسوان - حيث نشأ العقادُ - يلتقى الماضى السحيق بالحاضر. ففى أسوان - خاصة فى الشتاء - تلتقى أحدث صور الحضارة الحديثة بآثار الماضى العريق، لا فى المتاحف وحدها بل فى البيوت، فالحياة هى الحياةُ والوسائلُ هى الوسائلُ، كأن كل شىء ثابتٌ فى مكانه ولم يتحرك إلا الزمن. وفى ملتقى الحياتين نشأ العقاد، فتح عينه على الفتاة الباريسية والليدى الإنجليزية ثم المرأة الأسوانية المحجبة حتى ليعجز على المرء أن يعرف أمه فى الطريق، وهو وإن لم يُعطِ هذا النقيض أهمية فى طفولته إلا أنه قد لمسه الآن وملأ عليه إحساسه، فقد منحه بسطة فى الأفق كما أعطاه قابلية الإحساس بسعة الحياة، وطبعه على الاستعداد للتقابل وعدم الإحساس بالتنافر.

(*) د. نعمات أحمد فؤاد (١٩٢٧م) أديبة وكاتبة مصرية عرفت باهتماماتها الثقافية والعامة، ودعوتها الحماسية لحماية الآثار والتراث الوطنى. تخرجت فى كلية الآداب (١٩٤٨م)، ونالت درجة الدكتوراه (١٩٥٩م)، كانت رسالتها عن "النيل فى الأدب المصرى" وعرفت كبار الأدباء والمفكرين ونالت تشجيعهم. من مؤلفاتها "أدب المازنى" ، "أم كلثوم وعصر من الفن" ، "الشخصية الإنسانية فى أدب العقاد" ، "فى بلادى الجميلة" ، "شخصية مصر" .

(١) ولُوع : شديدة التعلق .

ومرة أخرى يتبدَّى[1] فضل مدينة أسوان عليه، فلما كانت مدينة سياحية بل مشتى عالميا؛ فقد غضت المكتبات لمنفعة السائحين، وهى بالطبع عامرةٌ بكتب الآثار والتاريخ والقصص والمجلات. فكان العقاد يتردد عليها ويُفيدُ منها ما وسعته الطاقة والرغبة، كما كان يندسُّ بين السائحين، ويتحدث إليهم ليمرن على الكلام بالإنجليزية، وقد مكن به من طِلْبته أيضا المجالسُ المختصة التى كان يدعى إليها؛ فقد كان بعض الأجانب ممن يزورون معالم المدينة يدعون ناظر المدرسة والطلبة والمتقدمين، فتسنَّى[2] للعقاد فى حداثته أن يجالس صَفْوةً[3] الأجانب رجالا ونساء، ولاشك أن الأمر هاله - بادئ ذى بدء - ولكنه واجه الموقف واستفاد منه.

إن فضل أسوان عليه - مدينة أثرية ومدينة عربية ومشتى عالميا - فضل لا يُجْحَد[4]، وما هو بغافل عنه. يقول العقاد عن أسوان فى مذكراته: "كانت البلدة التى نشأت فيها بلدتى أسوان بأقصى الصعيد، يكاد الناشئُ فى مثل سنى أن يأوى بها إلى صومعة من صوامع الفكر يقلب فيها وجوه النظر فى كل ما يسمعُ أو يبصرُ من الشئون العامة، بغير تضليل أو تهويل فلا تصلُ إلينا حتى تنكشف على جلاء".

وفى ذلك الحين - أيضًا - كان العقاد ينظم الشعرَ ويخصه بالوصف والعاطفة؛ ومنْ ثَمَّ لم يُؤثَر عنه فى باب المقالة غير القليل من موضوعات النقدِ الاجتماعى أو موضوعات المقالةِ: الوصفية أو العاطفية.

وقد عاش العقادُ بسنّ قلمه ومن سِنِّ قلمه؛ إذ إن الوظائف الحكومية التى تولاها كان سرعانَ ما يضيقُ بها. وفى الفترة ما بين ١٩١٢م و١٩١٤م التى عمل فيها بديوان الأوقاف لم يكن راضيًا كل الرضا مع أن قلم السكرتارية من ذلك الديوان كان مزيجا من الصحافة والوظيفة. وكان "ديوان الأوقاف" فى تلك الحِقْبَة[5] يجمع الأدباءَ والشعراء من شيوخ وشبان، كان فيه "المويلحى أحمد الأزهرى" صاحب مجلة الأزهر و"أحمد الكاشف" و"عبد الحليم المصرى" و"عبد العزيز البشرى" و"حسين الجمل" وإخوان هذا الطراز. ومع هذا، ما إنْ فاتح "حافظ عوض" العقاد فى الإشراف على صفحة الأدب بصحيفة "المؤيد" حتى سارع إلى القبول، على أنه لم يلبث أن استقال لسمةٍ من سمات الكرامة فى نظره وتقديره. وكانت استقالة رابحة؛ فقد خلا بعدها إلى القراءة والتأليف.

---

(١) يتبدَّى : يظهر .
(٢) تسنَّى: تهيأ وتيسر.
(٣) الصفوة من كل شىء : صَفْوَة يستوى فيه المذكر والمؤنث وغيرهما، وهو الصديق المختار .
(٤) يُجْحَد : يُنْكَر .
(٥) الحِقْبَة : المدة لا وقت لها جمعها حِقَب وحُقُوب .

وحياة العقادِ سلسلة طويلة من الكفاح .. الكفاح بكل ألوانه .. الكفاح : الأدبى والسياسى والمادى أيضا؛ فقد صارع الرجلُ الزمنَ والأحداثَ والسلطاتِ فى عهود شتى، حتى استطاع أن يزحزحَ كلَّ القوى المعرقلةِ، وينفذ إلى مكانه الطبيعى فى الحياة. كان يقضى الليل يقرأ على ذُبالة[1] مصباح، ويقضى النهار على وجبة واحدة من الخبز والجبن، أو من الخبز والفول ....

وتعقَّبهُ فى أعقاب الحرب العالمية الأولى الاستعمارُ والسلطات الممالئة[2] له، ولكنهم لم ينالوا منه شيئا، غير أنهم أخرجوه من بلده أسوان، واضطهدته الملكيةُ حتى أودعته السجنَ، وعرف مرارة الجبن والجحود، فعاش منفردًا معتدًّا بنفسه، كثيرًا بشخصه الفرد ... غيرَ آبهٍ[3] بمن يعيبون عليه التفرد أو العزلة أو الاعتداد، خلا للآداب والعلم مخلصا لهما، وعاش بين كتبه لا يملّ صحبتها ولا تملّه، كلاهما غنى لصاحبه وكفاء ... وقد انتظمت حياتُه على القراءة والكتابة، وهو إمَّا أن يستزيد وإما أن يزيد ... رفيقه كتابٌ هو قارئه أو هو كاتبه، فليس غيره على الحالين صاحب وخَدين[4].

وللعقاد نفس طُلَعَة[5] وَلُوع بالمعرفةِ[6] الإنسانية على اختلاف ألوانها. يُهطع[7] إليها من مظانّها، وهو من أولئك العصاميين الذين رَبَّوا أنفسهم، وشقّوا طريقهم فى الحياة بسلاح الفطرة والموهبة الأصيلة، التى يَزيدُها الصقلُ والتجربةُ والطموحُ تألقًا ومَضاءً.

وقد قرأ العقادُ أمهات الكتبِ جميعًا فى العربية، وهو يُؤثِر من كتَّابها ابنَ المقفع، وصاحب الأغانى، ومن الشعراء بالطبع ابن الرومى. وآثرُ فنون المعرفة عند العقاد بالتريب هى :

الشعرُ عربيا وأجنبيا وما يتعلق به من نقد ودراسة. والبحث فيما وراء الطبيعة، والعلوم، وهو يجيد من اللغات- غير العربية - الإنجليزية إجادة تامة، وذلك من طول قراءته للإنجليزية وَتَشرُّبه لها، وإنه ليستعينُ بها على فهم الإيطالية والإسبانية، اللتين يفهمهما بقدر ما هو مشترك بينهما وبين الإنجليزية، أما الفرنسية فهو يعرفها لماما.

وأسلوبُ العقادِ أسلوبٌ منطقىٌّ يعتمد على المقدماتِ والنتائج، حتى لتحسُّ إزاء مقالته أن أفكارها مرتبة ترتيبًا يتميز فيه البدء والختام قبل أن يخط فيها حرفا. وهو أسلوبٌ علمى ما لم تغلب عليه طبيعة الموضوع إن كان أدبا

---

(١) ذُبالة : الفتيلة التى توقد، وجمعها ذُبال .
(٢) الممالئة : المعاونة .
(٣) آبه : مهتم .
(٤) خدين : صديق ، والجمع خُدناء .
(٥) طلعة : طموح .
(٦) ولوع بالمعرفة: شديد التعلق بها
(٧) يهطع : يسرع .

خالصا. ومع ما لأسلوبه من الطابع العلمى إلا أنه يميلُ إلى الإيقاع ونهاية الفواصل فى غير حشو أو فضول[1]، وهو يؤثر المعنى على اللفظ، وإن كان يستهويه السَّجعُ أحيانا فى موضوعات التهكم كما يختاره - على حد تعبيره - فى الموضوعات الوجدانية وما إليها مما يلحق بالأغراض الشعرية : "فإن السجع ينبِّه الذهنَ إلى المعانى فى هذه الأغراض ويزيدها جلاء وتوكيدا، كأنه اللحنُ الذى يضيف إلى الكلمات ومعانيهاقوةً ليست للكلام الذى يُسمَعُ بغير تلحين، "ولم تَجْنِ الصحافة على العقاد جِنايتها على الأدباء، فقد ظلّ أسلوبُ العقاد له طابَعُه الذى لا يتغير : طابعُ الدراسة والاستقصاء[2] والتمحيص[3]، وهذا صدى لفرديته واعتزازه بذاته حتى لتغلب شخصيته فلا تطغى عليها شخصية أخرى.

الدراسة

أجادت الدكتورة نعمات أحمد فؤاد فى عرض بعض اللمحات المضيئة من حياة المفكر والأديب العملاق عباس محمود العقاد ابن نيل مصر الخالد، الذى تربت فى ثراه وعشقت مياهه وأراضيه الكاتبة نعمات فؤاد، حتى حرصت على تسجيل بحثها للدكتوراه حول" النيل في الأدب المصرى" فى وقت أدرك فيه المواطن المصرى الحقيقة التاريخية الباهرة التى سطرها المؤرخ اليونانى القديم "هيرودوت" فى مقولته بأن مصر "هبة النيل".

وقد أصاب المؤرخ وأصابت الكاتبة كبد الحقيقة حول منزلة النهر الخالد فى تأسيس حضارة البشرية كلها منذ هبط الانسان القديم من الهضبة إلى الوادى ليزرع الأرض ويحصد الثمار ويتغنى بالنيل فى مواسم الحصاد، وليحرص المصرى القديم على صفاء مياه النيل فلا يلوثها ولا يهدرها إدراكا منه لقيمتها باعتبارها هبة السماء إلى الأرض المباركة بزرعها وضرعها.

على أرض نيل مصر الطيبة السخية وفى جنوب واديها الأخضر كانت نشأة الكاتب العصامى النابغ الذى علَّم نفسه الفكر والفلسفة والأدب والتاريخ والأديان واللغات الأجنبية.

بين جيل عمالقة الفكر والفن والأدب ظهر صوت العقاد قويًا أبيا شامخا من أرض أسوان، حاملة حضارة الإنسانية بآثارها التاريخية وأجوائها الشتوية الدافئة وسائحيها من كل أقطار الدنيا وخضرتها الساحرة، فكان العقاد ابن هذه البيئة السخية بعطائها المتدفق إلى جانب أسرته الصغيرة التى نشأ فيها نهما بالقراءة والاطلاع حريصا على

---

(١) فضُول : زيادة .
(٢) الاستقصاء : بلوغ أقصى الشىء .
(٣) التمحيص : الاختبار والتنقية .

المعرفة وإعمال العقل، قارنا للعلوم الدينية واللغوية و الأدبية إلى جانب قراءاته فى التاريخ والفلسفة والعلوم التطبيقية، حتى تفرد بموسوعيته الفذة إلى جانب أسلوبه المتميز.

كشف العقاد عن خلاصة نظريته فى الشعر فى كتاب (الديوان) حيث أخذ موقفًا حادًا من مدرسة الإحياء التى أسسها البارودى ونماها ورعاها شوقى وحافظ.

وتجلى إبداع العقاد فى تأليف عبقرياته منذ كتب (عبقرية محمد) ثم (عبقرية الصديق)، و(عبقرية عمر)، و(عبقرية خالد)، فكان صاحب منهج جديد فى سرد سيرة لكل شخصية من منظور تفردها وتميزها، وتجلت قدرة العقاد في النفاذ عبر دخائل شخصياته عن طريق ماأسماه "مفتاح الشخصية".

هكذا جمع نهر النيل الخالد بعبقرية مكانه ووواديه بين نبوغ العقاد وتفوق كاتبة المقال على نفسها فيما سردته من لمحات حياته الهادئة وقصة كفاحه وتميزه وتحليل شخصيته وأسلوبه، وإلمامه بالمتناقضات بين التقاليد المحلية الوطنية وبين مارآه من الفتاة الباريسية والليدى الإنجليزية من السائحات النازحات إلى بلده الأصيل (أسوان)، فكان من حسن حظه أن يولد فى هذه المدينة السياحية الرائعة بما هيأته له من مجالسة صفوة الأجانب وأبناء الوطن، إلى جانب مافرضه على نفسه من قراءات وكتابات فى صومعة فكره، التى جعلت منه مبدعا وناقدا فذا وقاصا متميزا وصحفيا مناضلا يأبى الاستسلام لمهام الوظيفة الرسمية بكل قيودها، حتى يذكرنا بالجاحظ الموسوعى الذى ترك لنا أهم المؤلفات فى الأدب العربى مثل كتاب(الحيوان)ـ (البخلاء) ـ (البيان و التبيين)، ورسائل الجاحظ وغيرها من مؤلفاته الرائعة.

هكذا عاش العقاد بين الكتاب والكتابة، بين القراءة والاطلاع الموسوعى، بين الاستعداد الفطرى لاكتساب المعارف وبين استدعاء تجاوبه المتنوعة الثرية مع درايته وإلمامه باللغات الأجنبية من الإنجليزية والفرنسية إلى جانب بعض معرفته بالإيطالية والإسبانية.

وقياسا على تفرده وتميزه جاء أسلوبه فى الكتابة كاشفا عن قوة الشخصية والتمكن اللغوى والوعى الحضارى، فكان منطقى التفكير، فلسفي الرؤية، علمى النزعة، دقيق الأسلوب، يتكئ على الاستقراء والاستقصاء والاستنتاج والمقدمات والنتائج؛ ليصل إلى عقل قرائه ومتلقيه قبل الوصول إلى وجدانهم، ومع هذا كله سجَّل دورهُ ناقدًا وشاعرًا لايشق له غبار ، فكان عقادنا ملء السمع والبصر حتى ملأ الدنيا وشغل الناس بشخصه وفكره وفنه كما كان المتنبى فى القرن الرابع الهجرى وقبله الجاحظ الموسوعى فى القرن الثالث الهجرى.

التعليق

هذا النص مقال أدبي يوضح جوانب شخصية من شخصيات الفكر والأدب في العصر الحديث.

تتميز لغة المقال بالوضوح، والسلاسة والدقة في اختيار الألفاظ المعبرة عن طبيعة الشخصية المتحدث عنها، كما تعكس من شخصية الكاتبة: عمق الرؤية وسعة الثقافة والقدرة على التحليل والتعليل، ودقة الملاحظة.

ومن الصور التي وردت بالمقال: يلتقي الماضي السحيق بالحاضر – كأن كل شيء ثابت في مكانه – منحه بسطة في الأفق – يعب منها ما وسعته الطاقة.

تحقق التكوين الفني للمقال فقد بدأ بعرض نشأة العقاد ثم أثر أسوان عليه، ثم انتقل إلى توضيح جوانب شخصيته ثم ختم بطبيعة أسلوب العقاد الذي عرف به أي إن المقال له: مقدمة وموضوع وخاتمة انتقل بينها في سلاسة معتمدًا على التحليل والعرض والتعليل. ولم يقف عند مجرد رصد جوانب الشخصية وسيرتها.

يمثل هذا المقال مدرسة المجددين حيث يتميز برشاقة اللفظ والبعد عن التكلف والحشو والإسهاب قاصدًا إلى كشف أبعاد الشخصية وجوانب تميزها والأسباب المنطقية، وتحليل جوانبها.

تدريبات وأنشطة

١. استمع للموضوع ثم أجب

أ- ما مدى تأثر كاتبة المقال بشخصية العقاد؟ وضح بأمثلة.

ب- ما جوانب القدوة في العقاد.

ج- ماذا أعجبك في الموضوع؟

٢. تحدث عن نشأة العقاد أمام زملائك مراعيا ما يلى :

- ترابط الفكر.
- استخدام أدوات الربط .
- استخدام الصور والمحسنات.
- تنويع الأساليب.

٣. اقرأ النص قراءة صامتة ثم أجب عما يلى :

أ- أين ولد العقاد؟ ومتى ولد؟ وبم كان يتصف أبواه؟

ب- فى أسوان يلتقى الماضى السحيق بالحاضر. وضح أثر ذلك فى تناول العقاد لما كان يتناوله من القضايا .

ج- ما أثر البيئة فى التكوين العلمى للعقاد؟

د- حياة العقاد متصلة الحلقات من الكفاح المتعدد الجبهات. وضح ذلك، واذكر من خصائص العقاد ما أعانه على الاستمرار فى كفاحه .

ه- لأسلوب العقاد خصائص هى نتاج خصائصه الشخصية. وضح ذلك .

و- استخرج من الصور البيانية وأكمل الجدول التالى :

الصورة	نوعها

ز- ما سمات أسلوب الكاتبة ؟

٤. اقرأ الفقرة التالية ثم أجب :

"كانت البلدة التى نشأت فيها بلدتى أسوان بأقصى الصعيد يكاد الناشئ فى مثل سنى أن يأوى بها إلى صومعة من صوامع الفكر، يقلّب وجوه النظر فى كل ما يسمع أو يبصر من الشئون".

أ- تخير الإجابة الصحيحة لما يأتى مما بين القوسين :

- جمع (الناشىء) : (النشء - النواشئ - الناشئات).
- مفرد (البصائر) : (الباصرة - البصر - البصيرة).
- ماضى (تضليل) : (ضَلَّ - ضَلَّلَ - أضل).

ب- تلقى الفقرة الضوء على منهج العقاد فى دراسة قضايا الفكر والسياسة والاجتماع. بين ذلك.

ج- أكمل العبارات الآتية :

- جاءت كلمة (يكاد) لتدل على .....
- المقصود من (يقلّب وجوه النظر) .....
- واستعمل الفعل مضارع للدلالة .....

د- كان لأسوان فضل على العقاد، ولم يضنّ العقاد عليها بِرَدّ الجميل، وضح ذلك.

٥. كان لإتقان اللغة العربية واللغات الأجنبية وحب القراءة أثر بالغ فى ثقافة العقاد وأدبه. ناقش العبارة.

٦. لخص الجزء الذى يبدأ بقول الكاتبة : "وللعقاد نفس طُلَعَة ..." وينتهى بقولها: " .. وبين الإنجليزية" فيما لا يزيد على أربعة أسطر.

٧. اكتب بحثًا لا يقل عن ٤٠٠٠ كلمة عن كتاب من كتب العقاد، واعرضه على معلمك وزملائك مراعيًا قواعد البحث العلمي

٨. اكتب عن أحد معلميك أو أحد العلماء المصريين البارزين مقالًا وصفيًا مستفيدًا بما درسته في هذا المقال

الكنيسة نورت

الأهداف :

يتوقع فى نهاية الدرس أن يكون الطالب قادرًا على أن:

* يفهم الدلالات غير المباشرة التى يوحى بها النص.
* يميز الخصائص الأسلوبية للمتحدث.
* يصدر أحكامًا قيمية على تصرفات إحدى الشخصيات فى قصة مسموعة.
* يوازن بين الآراء بطريقة موضوعية.
* يستخدم صورًا بيانية فى حديثه.
* يبدى رأيه فيما يقرأ من نصوص معللا.
* يقترح أكثر من عنوان للنص.
* يثرى المقروء بفكر ابتكارية.
* يستنتج مضامين العمل الأدبى.
* يوضح سمات القصة القصيرة.
* يلخص مقالا أو مسرحية أو قصة.
* يكتب مسودة لموضوع ما مراعيًا قواعد الكتابة.
* يتواصل مع آليات الحكومة الإلكترونية.

إبراهيم أصلان*

زمان

كان النهر مكشوفًا للعيان.

وزمان

كان أهالى إمبابة يقضون سهراتهم طوال شهر رمضان على طول شاطئه الممتد.

يغادرون الحوارى وهم يحملون الحصر والأوانى، الأولاد يلعبون، وهم يتسامرون ويشربون الشاى، ويجمعون حوائجهم ساعة السحور ويعودون.

كانت عائلة العم منصور المسيحى تجاورنا سواء فى البيت أو فى قعدة الشاطئ، وكانوا يساهمون فى القروش القليلة التى يجمعها الأولاد من أجل تزيين الحارة ولا يفطرون إلا مع الأذان، وكنا نتبادل ألواح الصاج التى نرص عليها الكعك والبسكويت والغريبة، ونتبادل حملها إلى الفرن القريب، ونظل حتى الصباح حيث يعود كل منا بألواحه، ونتبادل الزيارة يوم العيد.

من أكثر صور تلك الأيام التصاقًا بذاكرتى، وذاكرة أبناء جيلى من أهالى المنطقة صورة انتظارنا مدفع الإفطار على شاطئ النهر.

---

* إبراهيم أصلان (١٩٣٥م - ٢٠١٢م) هو واحد من كتاب جيل الستينات فى مصر ، ولد بقرية شبشير الحصة التابعة لمركز طنطا - بمحافظة الغربية ، ونشأ وتربى فى القاهرة ، ومن أشهر أعماله القصصية بحيرة الماء ، ووردية ليل ، أما رواياته فهى : (مالك الحزين، عصافير الجنة ، حجرتان وصالة ، حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ٢٠٠٣م ، وجائزة كفافيس الدولية عام ٢٠٠٥م.

كنا نتجمع عشرات الأولاد على الحافة.

وكان الشاطئ الممتد ينتهى بانحناءة تحت كوبرى إمبابة الكبير، وداخل هذه الانحناءة كان مدفع رمضان الرابض لا يبين منه شيء، لذلك لم نكن ننظر إلى هناك، بل كانت عيوننا مصوبة فى ترقب عبر النهر، إلى مبنى شبه مختف وراء الأشجار، هناك فى حى الزمالك.

ويكون النهر طافحًا[1] والماء مثقلا بطميه الفوار.

وتكون الدنيا صيفًا والبلح الأحمر طلع.

وتظل عيوننا معلقة بذلك المبنى شبه المختفى.

فجأة تضاء نوافذه النحيلة المتباعدة عبر الفروع والأغصان.

حينئذ نهلل جميعًا، فى غناء موقع:

"الكنيسة نورت[2] ... الكنيسة نورت"

ومع ذلك النور المحمر فى النوافذ والغناء، يطلق المدفع الرابض[3] عند انحناءة النهر طلقة قوية لها صدى.

حينئذ نميل بأجسادنا إلى هناك، ونرى دخانها الكثيف الأبيض وهو يغادر مخبأه.

ويروح يسرح كثيفًا على سطح الماء.

والصديق إدوار الخراط اتصل يقول: كل سنة وأنت طيب، وأنا سألته عن اسم تلك الكنيسة التى كان يمكن رؤيتها من إمبابة زمان، وهو قال إن الزمالك حيث يقيم، لا يوجد بها إلا كنيسة العذراء بالمرعشلى.

قلت لم أعد أراها، قال ، ربما أن المبانى حجبتها.

---

(١) طافحا : ممتلئا

(٢) نورت – أضاءت

(٣) الرابض – المقيم

الدراسة

فى لحن وطنى شجى رفيع المستوى، عميق الدلالة، عبَّر الكاتب المصرى الأصيل إبراهيم أصلان عن عراقة الوحدة الوطنية بين أبناء مصر، من شركاء الأرض واللغة والفكر والحوار والرؤى والمستقبل والأمل.

وفى سيمفونية عذبة التوقيع وبريشة مصور فنان استطاع الكاتب رصد (الحالة الوطنية) التى تداخل فيها النسيج الإسلامى المسيحى بصورة رائعة مع قدوم شهر رمضان المبارك؛ حيث يهنئ المسيحيون أشقاءهم المسلمين بقدوم الشهر الفضيل على طريقة إدوار الخراط مع الكاتب إبراهيم أصلان.

ومن خلال مصرية ابن البلد وقدرته على التصوير، ارتسمت أبعاد اللوحة القصصية التى ركز فيها الكاتب عدسته الفنية على أهالى إمبابة وشواطئ النيل الممتدة، ومغادرة الحوارى، وحمل الحصر والأوانى ولعب الأولاد، وساعات السمر وشرب الشاى، وجمع الحوائج ساعة السحور ثم العودة إلى البيوت.

فى مقابل هذا الكم الحركى من مشاهد الفرحة بقدوم شهر الصيام، يأتى تكثيف موازٍ لنفس الصور من خلال عائلة العم منصور المسيحى، بحكم الجوار فى البيت أو جلسة الشاطئ وما يصحب هذا كله من مفردات الحدث؛ من إسهام الإخوة المسيحيين شبابا وأطفالا فى تزيين الحارة والمشاركة بقروشهم فى شراء أدوات الزينة، وإصرارهم على الإفطار مع الأذان وتبادل ألواح الصاج التى يرص عليها الكعك والبسكويت والغريبة، وتبادل حملها إلى الفرن القريب، ليظل الصبية مسلمين ومسيحيين معًا ينتظرون حتى الصباح ليعود كل منهم بألواحه، ثم يبدأ تبادل الزيارة يوم العيد.

هذه المشاهد الرقيقة بكل عذوبتها لا تكاد تفارق ذاكرة الكاتب وذاكرة أبناء جيله ورفاق دربه من أهالى المنطقة، خاصة لحظة انتظار مدفع الإفطار على شاطئ النهر الخالد الذى راح – بدوره – يداعب مخيلة الكاتب عبر الشاطئ الممتد بانحناءته تحت كوبرى إمبابة الكبير، وداخل الانحناءة كان مدفع رمضان لا يظهر منه شىء، ولذا كانت أنظار الصبيَّة تتجه إلى النهر والمبنى شبه المختفى وراء الأشجار فى حى الزمالك؛ حيث تضاء نوافذه النحيلة المتباعدة عبر الفروع والأغصان ليتهلل الجميع فى غناء جماعى موقَّع : "الكنيسة نورت ... الكنيسة نورت"، ومع نور الكنيسة ينطلق مدفع الإفطار وينطلق دخانه الكثيف الأبيض ويروح ويسرح كثيفًا على سطح الماء.

وهنا يحلل الكاتب جماليات الرؤية والذكريات من خلال سؤاله صديقه الكاتب الكبير إدوار الخراط، وهو يسأله بقدوم شهر رمضان المبارك، عن تلك الكنيسة، فيجيبه بأنها كنيسة العذراء بالمرعشلى بالزمالك، وهنا يعقد الكاتب المفارقة بين ذلك الماضى النبيل وبين زحام الواقع المزدحم بالمبانى الضخمة المرتفعة التى يراها وقد حجبت هذا المشهد العظيم.

هكذا ركز الكاتب سطور قصته التى جمع من خلالها فكرة المشترك الإنسانى بين الأديان السماوية، التى ضرب فيها المصريون بسهم وافر منذ مجىء الفتح الإسلامى لمصر على يد عمرو بن العاص فى عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حيث جاء بجيش قوامه ستة آلاف جندى، وبنى الفسطاط مقرًا للولاية الجديدة التى أمَّن أهلها من الإخوة المسيحيين الذين أدركوا سماحة الإسلام ووسطية المسلمين بما نشروه من روح الأخوة والمساواة والتصالح والسلام، وإذا بجيش عمرو يتضاعف عدده خلال مساره من الفسطاط إلى الإسكندرية ليتجاوز اثنى عشر ألف جندي ممن أسلموا معه وشاركوه رحلته المباركة.

وعاشت مصر نسيجًا متداخلا بين مسلميها ومسيحييها، وكأنها تحى مرارًا ذكرى (العهدة العمرية) التى منحها عمر بن الخطاب لأهل إيليا، لأن يقيموا شعائرهم وعباداتهم ويحافظوا على ثوابتهم ومقدساتهم لا يؤذى منهم أحد ولا يروَّع فى دينه ومعتقده.

وعاشت مصر بهلالها وصليبها فى تكامل وطنى رصين تطالب بالحرية والاستقلال خلال ثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول ، واستمر الرباط الوطنى بين أبنائها بنفس القوة التى التقط خيوطها الكاتب، ليسرد حولها قصته القصيرة التى اتخذ فيها بؤرة رؤيته من فكرة وحدة الشعب المصرى الذى لا يعرف التفرقة بين مسلم ومسيحى؛ حيث يعيش الجميع على ضفاف نهر النيل الخالد وعلى أرض مصر المعطاءة منذ فجر التاريخ البشرى منذ هبط الإنسان من الهضبة إلى الوادى ليزرع الأرض ويحصد الثمار.

تتجانس كل الأجيال والأعمار فى حب مصر من خلال الناشئة من الصبية والبنات – مسلمات ومسيحيات- فالكل يشارك فى تزيين الحارة وانتظار الأذان والإفطار والكعك والبسكويت .. يتجمع العشرات على حافة النهر وتتجه كل الأنظار إلى مصدر الضوء الخافت، وهنا يحدد الكاتب زمن قصته فى أشهر الصيف وظهور البلح الأحمر وتدفق نهر النيل بمياهه الغزيرة وتدفع مياهه بطميه الفوَّار.

كما يدقق القاص السارد فى وصف النور المحمر فى النوافذ لحظة انطلاق مدفع الإفطار، وما يصدر عنه من دخان أبيض كثيف والمدفع يغادر مخبأه .. والدخان يسرح كثيفًا على صفحة مياه النهر العظيم.

ولا ينسى الكاتب أن يقارن بين الأجيال من خلال شخصه وصديقه إدوار الخراط، وكلاهما خبير بطقوس ومواقعها، وهما يتبادلان المعرفة بين سؤال وجواب بقدر تبادلهما التهانى فى المناسبات لكل الأشقاء فى الوطن والمواطنة، وتنتهى المقارنة إلى ما تشهده القاهرة والجيزة من زحام العمران وارتفاع المبانى التى يعانى منها الجيل الجديد فإذا المبانى الشاهقة تحجب رؤية كنيسة العذراء بأنوارها الرمضانية الرقيقة بعد أن كانت زمنًا مصدرًا للسعادة والتلاقى بين الأجيال.

التعليق

القصة القصيرة – كما عرفنا – عمل فني يتميز بإحكام البناء تكون الشخصيات فيه محدودة والتعبير غاية في الإيجاز، وكل عبارة لها دلالتها، فهذه القصة بعنوان من كلمتين "الكنيسة نورت" تحمل رسالة القاص في إيجاز وتوكيد وإيماء بالغ تاركة انطباعًا لدى المتلقي عن المشاركة الوجدانية في الاحتفال برمضان ثم تتوالى الدلالات المعبرة عن طبيعة الشخصية المصرية والعادات والتقاليد التي تجمع بين المصريين جميعًا دون النظر إلى أية اعتبارات وتميزت القصة بمحدودية الشخصيات والأحداث فالمحرك الأساسي للأحداث هو الراوي وتظهر في نهاية القصة شخصية صديقه.

ومن الصور التي أسهمت بدورها في إبراز فكرة القاص "كان النهر مكشوفًا" وهي توحي بالفراغ الممتد قبل الزحام وقبل التعدي على النهر، "يكون النهر طافحًا" وتوحي بموسم الفيضان – "البلح الأحمر طالع" توحي بالدخول في الصيف "عيوننا معلقة" توحي بالترقب، "أكثر الصور التصاقًا بذاكرتي" توحي بمدى تأثير الذكريات في نفسه، "عيوننا مصوبة" توحي بالاهتمام والتركيز.

تدريبات وأنشطة

١. استمع للقصة ثم أجب عن الأسئلة التالية:

أ- ما مدى ارتباط عنوان القصة بمضمونها؟

ب- تهدف القصة القصيرة إلى توصيل انطباع محدد للمتلقى . فما الانطباع المأخوذ عن القصة؟

ج- ما الاتجاه الفكرى للكاتب، كما فهمت من القصة؟

د- ما مدى ارتباط القصة بقيم المجتمع وأعرافه؟ دلل.

٢. تحدث عن قضية الوحدة الوطنية كما تجلت فى قصة الكنيسة نورت مستخدمًا ما يلى:

- أدوات الربط المناسبة.
- الصور البيانية .

٣. بعد قراءتك القصة قراءة صامتة أجب عما يلى:

أ- اقترح أكثر من عنوان للقصة معللا.

ب- اقترح فكرة أخرى كان يمكن تناولها فى القصة.

ج- ما سمات القصة القصيرة من خلال فهمك لهذه القصة؟

٤. اقرأ ثم أجب : " كانت عائلة العم منصور المسيحى تجاورنا سواء فى البيت أو فى قعدة الشاطئ، وكانوا يساهمون فى القروش القليلة التى يجمعها الأولاد من أجل تزيين الحارة ولا يفطرون إلا مع الأذان" .

أ- هات معنى تجاورنا، مضاد يجمعها . فى جملتين من إنشائك.

ب- تتجلى مظاهر الوحدة الوطنية فى الفقرة أروع تجلٍ . وضح ذلك.

ج- تتسم المفردات اللغوية التى استعان بها الكاتب باقترابها من لغة الواقع . وضح ذلك.

٥. لخص القصة بأسلوبك.

٦. ابحث فى الشبكة الدولية للمعلومات عن قصة أو مسرحية تعالج الوحدة الوطنية بين المصريين، واعرضها على زملائك.

٧. اكتب مسودة لموضوع بعنوان "نحن شعب واحد".